الموعظة الحسنة

مواعظ ودروس قصيرة لعموم المسلمين

(الجزء الثاني)

تأليف فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

دار الفرقان
المصرية
للنشر والتوزيع

الْمَوْعِظَةُ الْأُولَى:

إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ للهِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ حَدَّدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْغَايَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ الْخَلْقَ، فَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَهَذَا أُسْلُوبُ قَصْرٍ حَصَرَ فِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْدُ مِنْ أَمْرِ عِبَادَتِهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

وَإِفْرَادُ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بِالْعِبَادَةِ: هُوَ صَرْفُ جَمِيعِ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، فَلَا يُعْبَدُ فِي الْحَقِيقَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَّا اللهُ، وَلَا يُصْرَفُ شَيْءٌ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ إِلَّا للهِ، فَإِنْ صُرِفَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُسَامِحُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَتَهَاوَنُ فِي الْحِسَابِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الدَّوَاوِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةً:

«فَدِيوَانٌ لَا يَدَعُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا».

فَأَمَّا **«الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَدَعُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا»**؛ فَالْمَظَالِمُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْعِبَادِ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ إِذَا مَا خَلَصُوا مِنْ أَمْرِ الصِّرَاطِ فَجَازُوا، وَأَصْبَحُوا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ؛ نُصِبَتْ هُنَالِكَ عَلَىٰ طَرْفِ الصِّرَاطِ مِمَّا يَلِي الْجَنَّةَ قَنْطَرَةٌ يُقِيمُ عَلَيْهَا الَّذِينَ مَرُّوا عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَأَصْبَحُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ضِمْنًا.

يَظَلُّونَ عَلَىٰ تِلْكَ الْقَنْطَرَةِ يَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ دَارُ الطَّيِّبِ الْمَحْضِ، لَا يُجَاوِرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا مَنْ كَانَ طَيِّبًا مَحْضًا، كَمَا أَنَّ النَّارَ دَارُ الْخُبْثِ وَالْخَبِيثِ الْمَحْضِ، وَالَّذِي يَخْلُدُ فِيهَا هُوَ الْخَبِيثُ الْمَحْضُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ.

فَهَذَا هُوَ «**الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَدَعُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا**»؛ لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا، مَظَالِمُ تَكُونُ بَيْنَ الْعِبَادِ فِي الدُّنْيَا لَا تُقْضَىٰ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَقُّ، وَفِعْلُهُ الْعَدْلُ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُقِيمَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَطْهِيرِ الْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ حَتَّىٰ يَصِيرَ طَيِّبًا مَحْضًا؛ لِكَيْ يُجَاوِرَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي دَارِ الطَّيِّبِ الْمَحْضِ.

وَ«**دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا**»: وَهُوَ ظُلْمُ الْعَبْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، ظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ أَمْرٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا.

وَأَمَّا «**الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا**»؛ فَهُوَ الشِّرْكُ، فَمَنْ لَقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِشَيْءٍ مِنْهُ -وَلَوْ كَانَ قَلِيلَ الْقَدْرِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ-؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَغْفِرُهُ بِحَالٍ أَبَدًا: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وَلَمْ يَقْبَلِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟!! إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ،**

ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ»(١).

فَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْرَ الشِّرْكِ عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَبِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَلَا يَغْفِرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَدَعُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَوَرَّطَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤَاخَذًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، مُحَاسَبًا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

إِذَنْ؛ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ بِعِبَادَةِ الْقَلْبِ، بِالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِقْبَالِ، بِالْإِنَابَةِ وَالْإِخْبَاتِ، كُلُّ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَصِيرَ بِهِ الْعَبْدُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُشْرِكْ بِهِ مَعَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَحَدًا، فَإِنْ فَعَلَ؛ فَقَدْ تَوَرَّطَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ لَا يُغْفَرُ.

وَكَذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ اللِّسَانِ، فَلَا يَجُوزُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَحْلِفَ بِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٢)، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ:

---

(١) أخرج ابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد (١/ ٢١٤)، والبخاري في «**الأدب المفرد**» (٧٨٣) واللفظ له، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وفي رواية ابن ماجه: «**إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**».

والحديث حسن إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (١٣٩ و١٠٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ١٢٥)، واللفظ له، والحاكم (١/ ١٨)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

=

«**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْلِفَ الْإِنْسَانُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ**»(١).

فَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-؛ فَقَدْ تَوَرَّطَ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الشِّرْكِ الْعَمَلِيِّ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ؛ وَلَكِنَّهُ يَلْحَقُ فِيهِ بِالْمُشْرِكِينَ ظَاهِرًا: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ**» يَعْنِي: كُفْرًا عَمَلِيًّا لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَهَذَا لَفْظُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ**».

إِذَنِ؛ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- لَا بُدَّ أَنْ تُخْلَصَ الْعِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ.

وَ«**مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»، فَمَنْ تَقَرَّبَ بِالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهُوَ مَلْعُونٌ بِلَعْنَةِ اللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْمُؤْمِنِينَ أَجْمَعِينَ؛ فَهَذَا لَفْظُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**»(٢)، وَهِيَ:

=

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**إرواء الغليل**» (٢٥٦١).

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦)، من حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧، رقم ١٨٧٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بلفظ: «مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ، مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ، مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَىٰ عَنْ طَرِيقٍ، مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَىٰ بَهِيمَةٍ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ»، وحسنه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٢٠٣)، وله شاهد عند مسلم (١٩٧٨)، =

الْعَلَامَاتُ الْهَادِيَةُ الَّتِي تُنْصَبُ عَلَىٰ الطُّرُقِ؛ مِنْ أَجْلِ الدَّلَالَةِ، أَوْ تُجْعَلُ حُدُودًا فَارِقَةً بَيْنَ مُمْتَلَكَاتِ الْخَلْقِ، فَمَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَاللَّعْنُ: هُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ، وَهُوَ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ طَرْدٌ وَإِبْعَادٌ مِنَ الرَّحْمَةِ.

«**مَلْعُونٌ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْمَدِينَةِ حَدَثًا**» أَيْ: فِي مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

«**وَمَلْعُونٌ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا**»، فَمَنْ أَعَانَ عَلَىٰ الْإِحْدَاثِ -وَهُوَ الِابْتِدَاعُ-؛ فَهُوَ مَلْعُونٌ بِلَعْنَةِ اللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(١).

لَا يَنْبَغِي أَنْ يُصْرَفَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، الْغَايَةُ مِنَ الْخَلْقِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّاسَ، وَخَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْجِنَّ، وَخَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَالَّتِي لِأَجْلِهَا تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتُتَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ مِنْ

=

من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، ولفظه: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**».

(١) يُشِيرُ -حفظهُ الله- إلىٰ حَدِيثِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**،...» الحديث.

أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

أَمَامَ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، الْغَايَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ: هِيَ إِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

هَذَا التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدًا آخَرَ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْمُلْكِ، وَإِفْرَادُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالتَّدْبِيرِ، وَإِفْرَادُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْمَالِكُ، وَالْمُدَبِّرُ، وَالرَّزَّاقُ الْعَظِيمُ، لَمْ يُشَارِكْهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي خَلْقِهِ أَحَدٌ، وَلَا يُشَارِكُهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- فِي رِزْقِ عِبَادِهِ أَحَدٌ، بَلْ هُوَ الْخَلَّاقُ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْمُلْكِ، وَهُوَ صَاحِبُ التَّدْبِيرِ.

هَذَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدًا آخَرَ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ كُلَّهَا، للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَاتُ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ كُلُّهَا، فَمَا مِنْ صِفَةِ كَمَالٍ وَلَا صِفَةِ جَلَالٍ إِلَّا وَهِيَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثَابِتَةٌ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، وَعَلَىٰ سَبِيلِ التَّفْصِيلِ.

نُثْبِتُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَنَنْفِي عَنِ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَعِنْدَمَا نَنْفِي عَنِ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- صِفَةً مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ مَقْصُودًا إِلَّا مِنْ أَجْلِ إِثْبَاتِ كَمَالِ ضِدِّهِ، فَأَنْتَ إِذَا نَفَيْتَ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَةَ

الظُّلْمِ؛ فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِكَمَالِ صِفَةِ الْعَدْلِ فِيهِ؛ لِأَنَّ مُجَرَّدَ نَفْيِ الصِّفَةِ عَنِ الْمَوْصُوفِ لَا يُعَدُّ كَمَالًا، فَالْحَائِطُ لَا يَظْلِمُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ الظُّلْمِ، وَالذَّلِيلُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَظْلِمَ؛ لِذُلِّهِ، وَأَمَّا الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَظْلِمُ لَعَدْلِهِ وَلِكَمَالِ عَدْلِهِ؛ فَهَذَا هُوَ الْحَرِيُّ بِالْمَدْحِ حَقًّا.

فَإِذَا مَا نَفَيْنَا عَنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ؛ فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِكَمَالِ ثُبُوتِ ضِدِّ تِلْكَ الصِّفَةِ عِنْدَ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا.

نُثْبِتُ للهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ.

إِذَنِ؛ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِعِبَادَتِهِ، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

مَا خَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ.

إِذَنْ؛ إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَبَدَهِيٌّ.. بَلْ مِمَّا يَتَطَلَّبُهُ الْعَقْلُ بِغَيْرِ نَظَرٍ، لَا بِقَلِيلِ نَظَرٍ، وَلَا بِإِعْمَالِ يَسِيرِ فِكْرٍ، وَإِنَّمَا بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ الْإِسْلَامَ؛ فَإِنَّهُ يُحَقِّقُ الْغَايَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقَ، وَهَذِهِ الْغَايَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ: هِيَ عِبَادَةُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمِنْ صُنُوفِ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: اسْتِمْرَارُ هَذَا النَّسْلِ فِي كَوْنِ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بِمَا شَرَعَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَفِي حُدُودِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ

ﷺ، وَالزَّوَاجُ إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِبَادَةً مَحْضًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، وَجَعَلَهُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ فِي شَرْعِهِ، كَمَا جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ فِي كَوْنِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَوْعِظَةُ الثَّانِيَةُ:

إِخْلَاصُ النِّيَّةِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

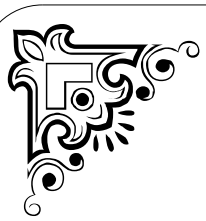

شَرْطَا قَبُولِ الْعَمَلِ: الْإِخْلَاصُ وَالْمُتَابَعَةُ

فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ(١) **فِي بَيَانِ الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ عِنْدَ اللهِ** جَلَّ وَعَلَا: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ».

فَقِيلَ لَهُ: «يَا أَبَا عَلِيٍّ! مَا أَخْلَصُهُ؟ وَمَا أَصْوَبُهُ؟».

قَالَ: «الْعَمَلُ الْخَالِصُ: الَّذِي يَكُونُ للهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَمَّا الصَّوَابُ؛ فَأَنْ يَكُونَ عَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٢).

فَهَذَانِ الشَّرْطَانِ هُمَا شَرْطَا قَبُولِ الْعَمَلِ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ خَالِصًا للهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَكُونَ عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

---

(١) هو الإِمَامُ الزاهد العابد الثَّبْتُ: أبو علي الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضِ بنِ مَسْعُوْدِ التَّمِيْمِيُّ الخُرَاسَانِيُّ، وُلِدَ بمدينة أَبِيْوَرْدَ من إقليم خرسان، ورحل في طلب العلم، قال ابن سعد: «وَكَانَ ثِقَةً، نَبِيْلًا، فَاضِلًا، عَابِدًا، وَرِعًا، كَثِيْرَ الحَدِيْثِ»، ثم انْتَقَلَ إِلَىٰ مَكَّةَ وَنَزَلَهَا إِلَىٰ أَنْ مَاتَ بِهَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِيْنَ وَمائَةٍ فِي خِلَافَةِ هَارُوْنَ.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «**الإخلاص والنية**» (٢٢)، والثعلبي في «**الكشف والبيان**» (٣١٩٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في «**حلية الأولياء**» (٨/ ٩٥)، بإسناد صحيح.

إِذَا كَانَ الْعَمَلُ لِغَيْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا فَهُوَ رِيَاءٌ وَشِرْكٌ بِاللهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ لَا تُصْرَفُ إِلَّا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِذَا صُرِفَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ فَهَذَا شِرْكٌ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَمَّا الْعَمَلُ الصَّوَابُ؛ فَهُوَ الَّذِي تَتَحَقَّقُ فِيهِ شُرُوطُ الِاتِّبَاعِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّ عِنْدَنَا سِتَّةَ أُمُورٍ يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَفَّرَ فِي الْعَمَلِ؛ حَتَّىٰ يَتَوَفَّرَ فِيهِ شَرْطُ الِاتِّبَاعِ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَهَذِهِ الشُّرُوطُ السِّتَّةُ هِيَ: **السَّبَبُ، وَالْجِنْسُ، وَالزَّمَانُ، وَالْمَكَانُ، وَالْكَمُّ، وَالْكَيْفُ**.

فَإِذَا اخْتَلَّ شَرْطٌ مِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يَتَحَقَّقُ فِيهِ شَرْطُ الِاتِّبَاعِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَمَنْ عَبَدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **لِسَبَبٍ** لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ كَالَّذِينَ يُحْيُونَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ بِالصَّلَاةِ، وَالذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ؛ فَهَذَا السَّبَبُ لَيْسَ فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَهَذَا السَّبَبُ إِنَّمَا هُوَ سَبَبٌ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ.

وَكَذَلِكَ الْجِنْسُ؛ فَإِنَّ الَّذِي يُضَحِّي بِفَرَسٍ -مَثَلًا- لَا تُعَدُّ أُضْحِيَتُهُ أُضْحِيَةً؛ وَإِنْ كَانَ لَحْمُ الْفَرَسِ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- مِمَّا أَحَلَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ وَلَكِنْ هَذَا الْجِنْسُ لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَضَاحِيِّ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ مَشْرُوعًا، وَكَذَلِكَ جِنْسُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَشْرُوعًا أَيْضًا.

وَأَمَّا زَمَانُهُ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ الَّذِي وُقِّتَ لَهُ زَمَانٌ مَعْلُومٌ.. إِذَا قُدِّمَ عَنْ زَمَانِهِ أَوْ أُخِّرَ بِغَيْرِ مَا رُخْصَةٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي تَقْدِيمِ الصَّلَاةِ وَتَأْخِيرِهَا-؛

فَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ يَكُونُ مَرْدُودًا؛ لِأَنَّهُ عَمَلٌ مُبْتَدَعٌ، اخْتَلَّ فِيهِ شَرْطُ الزَّمَانِ.

وَكَذَلِكَ الْمَكَانُ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَقِفُ بِغَيْرِ عَرَفَاتٍ فِي الْحَجِّ لَا يُعَدُّ حَجُّهُ حَجًّا؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَرَعَ لَنَا الْوُقُوفَ بِعَرَفَاتٍ فِي الزَّمَانِ الَّذِي حَدَّدَهُ جَلَّ وَعَلَا؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ شَرْطِ الزَّمَانِ، وَشَرْطِ الْمَكَانِ، مَعَ شَرْطِ الْجِنْسِ، وَشَرْطِ السَّبَبِ.

وَلَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الْكَمِّ وَالْكَيْفِ؛ فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا صَلَّىٰ الْعَصْرَ -مَثَلًا- خَمْسَ رَكْعَاتٍ؛ فَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ مِنْهُ، وَإِذَا صَلَّىٰ الصُّبْحَ رَكْعَةً وَاحِدَةً؛ فَإِنَّ هَذَا الْقَدْرَ لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، بِخِلَافِ مَا يَتَعَلَّقُ بِقَصْرِ الرُّبَاعِيَّةِ فِي السَّفَرِ، كَمَا رَخَّصَ لَنَا فِي ذَلِكَ دِينُنَا الْحَنِيفُ.

فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الْكَمِّ، وَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الْكَيْفِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ أَوَّلًا؛ فَإِنَّ وُضُوءَهُ يَكُونُ بَاطِلًا، وَكَذَلِكَ إِذَا قَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ السُّجُودَ عَلَىٰ الرُّكُوعِ مُدَّعِيًا أَنَّ السُّجُودَ أَشْرَفُ مِنَ الرُّكُوعِ؛ فَإِنَّ عَمَلَهُ يَكُونُ بَاطِلًا مُحْبَطًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَوَفَّرْ فِيهِ شَرْطُ الِاتِّبَاعِ.

فَعِنْدَنَا شَرْطَانِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: هُوَ شَرْطُ الْإِخْلَاصِ.

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: هُوَ شَرْطُ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

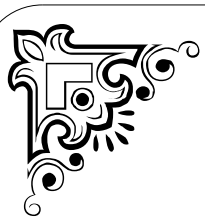

مُجَاهَدَةُ الْمُسْلِمِ لِتَحْقِيقِ الْإِخْلَاصِ

شَأْنُ الْإِخْلَاصِ شَأْنٌ عَسِرٌ، وَيَحْتَاجُ فِيهِ الْمَرْءُ إِلَىٰ مَزِيدٍ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ لِدَوَافِعِهِ وَنِيَّاتِهِ وَبَوَاعِثِهِ الَّتِي تَؤُزُّهُ وَتَحُضُّهُ وَتَدْفَعُهُ إِلَىٰ الْعَمَلِ، أَوْ إِلَىٰ الْكَفِّ عَنِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ الْكَفَّ عَنِ الْعَمَلِ إِذَا كَانَ بِنِيَّةٍ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ -أَيْضًا- عِبَادَةً للهِ جَلَّوَعَلَا، وَيَكُونُ عَمَلًا فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١).

فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ أَمْرٍ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا إِذَا كَانَتِ النِّيَّةُ فِيهِ خَالِصَةً للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

---

(١) جزء من حديث قدسي؛ أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِيمَا رَوَىٰ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا...**» الحديث.

فَأَمَرَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ لِأَنَّ هَذَا مَا خَلَقَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِأَجْلِهِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ النَّاسُ إِلَيْهِ بِذَبْحِ الْهَدَايَا فِي الْحَجِّ، وَالْأَضَاحِيِّ، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ اللُّحُومِ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا وَجْهُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتُقْصَدُ بِهَا طَاعَتُهُ؛ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ**﴾ [الحج: ٣٧].

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ[١] مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رضي الله عنه-: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: «هَاهُنَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: إِنَّمَا كَوْنُ الْأَعْمَالِ أَعْمَالًا فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ بِالنِّيَّاتِ».

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «إِنَّمَا كَمَالُ الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ».

وَالصَّوَابُ: أَنَّ الْعَمَلَ إِذَا مَا كَانَ بِغَيْرِ نِيَّةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ عِبَادَةً للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَإِنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ الِاتِّبَاعِ.

فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ خَالِصًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ الْعِبَادَةَ مَتْرُوكَةً لِلنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْبُدَ كُلُّ إِنْسَانٍ رَبَّهُ بِمَا يَرَاهُ أَوْ بِمَا يَخْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ، أَوْ بِمَا يَبْتَدِعُهُ فِي الْعِبَادَةِ الْمَشْرُوعَةِ!!

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّوْقِيفِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ تَوْقِيفِيَّةٌ، يَعْنِي: أَنَّ الْعِبَادَةَ تَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الْوَارِدِ، فَلَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً حَتَّىٰ تَكُونَ مَشْرُوعَةً بِالْكِتَابِ، أَوْ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا مَا عَبَدَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ بِعِبَادَةٍ مُبْتَدَعَةٍ، وَبَذَلَ فِيهَا عُمُرَهُ كُلَّهُ؛ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ عِبَادَةً عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ**»، «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**». رِوَايَتَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(١).

«**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا**»: مَنِ ابْتَدَعَ فِي هَذَا الدِّينِ، فَـ«**أَمْرُنَا**» هَاهُنَا يَعْنِي: دِينُنَا، فَـ«**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ**»، أَيْ: فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ؛ مَهْمَا كَانَ الْعَمَلُ؛ وَإِنْ بَذَلَ مَالَهُ كُلَّهُ -فِيمَا يَدَّعِي- للهِ، وَبَذَلَ عُمُرَهُ كُلَّهُ -فِيمَا يَدَّعِي- للهِ؛ بَلْ إِنَّ الَّذِي يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا تُقْبَلُ مِنْهُ شَهَادَتُهُ لَوِ اسْتُشْهِدَ -يَعْنِي: لَوْ قُتِلَ-؛ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ مَا كَانَ مِنْ تَضْحِيَتِهِ بِنَفْسِهِ، وَدَمِهِ، وَمَالِهِ.. لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ يُرِيدُ بِهِ رَفْعَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا سُئِلَ: «**الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً** -أَيْ: عَصَبِيَّةً-، **وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانُهُ** -يَعْنِي: مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ: شُجَاعٌ-؛ **فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟**».

قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، بلفظ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**».

وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤)، من حديث: أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بَلْ «إِنَّ مِنَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ أَوَّلَ مَا تُسَعَّرُ[١]: عَالِمٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَيُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُسْأَلُ، يُعَرِّفُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ؟ أَلَمْ أُهَيِّئْ لَكَ السُّبُلَ؟ أَلَمْ أُوَفِّرْ لَكَ مَا تَصِيرُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؟ فَحِينَئِذٍ لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ إِلَّا أَنْ يُقِرَّ وَيَعْتَرِفَ.

فَيُعَرِّفُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِفُهَا، فَيَقُولُ: «مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟».

يَقُولُ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ لِأَجْلِكَ.

فَيَقُولُ: «كَذَبْتَ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتَهُ لِكَيْ يُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَدْ قِيلَ»، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ، فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ.

وَكَذَلِكَ الَّذِي قَرَأَ الْقُرْآنَ -أَيْ: حَمَلَهُ-، يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعَرِّفُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِفُهَا، فَيَقُولُ: «مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟».

يَقُولُ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِيكَ، وَأَقْرَأْتُهُ.

فَيَقُولُ: «كَذَبْتَ، وَإِنَّمَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِكَيْ يُقَالَ: قَارِئٌ، وَقَدْ قِيلَ»، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ، فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ.

---

(١) يشير إلىٰ حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ،...**» الحديث.

أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢)، وزاد: ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ رُكْبَتِي فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وَكَذَلِكَ الشَّهِيدُ؛ يُعَرِّفُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِفُهَا؛ وَلَكِنْ هُوَ يَقُولُ: «إِنَّمَا قَاتَلْتُ لِأَجْلِكَ»، وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ بِمَنْ كَانَ يُقَاتِلُ لِأَجْلِهِ، وَيُقَالُ: «إِنَّمَا قَاتَلْتَ لِكَيْ يُقَالَ: شُجَاعٌ، وَقَدْ قِيلَ»»، وَقَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ، وَضَحَّىٰ بِرُوحِهِ، وَنُزِفَتْ دِمَاؤُهُ، وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ بِنِيَّةٍ مَدْخُولَةٍ.

وَأَمْرُ الْبَوَاعِثِ الْبَاطِنَةِ، وَأَمْرُ النِّيَّاتِ، وَأَمْرُ الدَّوَافِعِ النَّفْسِيَّةِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَسِرَةِ جِدًّا فِي مَعْرِفَتِهَا، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُمْلَةً مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ التَّقْوَىٰ وَأَهْلِ الْبِرِّ، ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَلَهُمْ مِنْ رُجُوعِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُفَتِّشَ سَرَائِرَهُمْ لِيَسْتَخْرِجَهَا لَهُمْ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٠].

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟».

قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣١٧٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (٤١٩٨).

والحديث صححه لغيره الألباني في «**الصحيحة**» (١٦٢)، وقال: «والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، وإنما السر: أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله ﷻ، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها علىٰ مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم.

=

فَأَمْرُ النِّيَّةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ جِدًّا؛ حَتَّىٰ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بِالنِّيَّةِ نَزَّلَ الْمَقْتُولَ مَنْزِلَةَ الْقَاتِلِ فِي الْإِثْمِ، وَفِي الْعِقَابِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]- يَقُولُ: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا؛ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ؛ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟» هَذَا قُتِلَ ظُلْمًا؛ فَمَا ذَنْبُهُ؟!

قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ**»، فَصَارَ مِثْلَهُ؛ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ.

❀❀❀

=

فليتأمل المؤمن هذا عسىٰ أن يزداد حرصا علىٰ إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه ﷺ في هديه فيها. وذلك معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]».

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث: أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه.

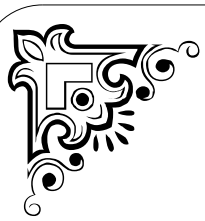

أُجُورٌ عَظِيمَةٌ ثَمَرَةُ النِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ

لَقَدْ بَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِنِيَّتِهِ يَتَحَصَّلُ عَلَىٰ أَجْرٍ عَظِيمٍ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزْوَاتِهِ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا لَأَقْوَامًا مَا سِرْنَا مَسِيرًا وَلَا قَطَعْنَا وَادِيًا إِلَّا شَرَكُونَا فِي الْأَجْرِ** -كَمَا فِي رِوَايَةٍ-؛ **إِلَّا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا لَنَا** -فِي رِوَايَةٍ-».

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ الْعِلَّةَ فِي هَذَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسِيرُوا مَسِيرَ الْمُجَاهِدِينَ، وَلَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ، وَلَمْ يُفَارِقُوا دِيَارَهُمْ وَلَا مَكَانَهُمْ، وَإِنَّمَا بَقُوا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ؛ وَلَكِنْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ صِدْقَ نِيَّاتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَوْ لَا الْعُذْرُ الَّذِي أَقْعَدَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَقْعَدَهُمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ؛ لَكَانُوا أَوَّلَ الْمُبَادِرِينَ إِلَىٰ الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

فَيَقُولُ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا لَأَقْوَامًا مَا سِرْنَا مَسِيرًا وَلَا قَطَعْنَا وَادِيًا إِلَّا شَرَكُونَا فِي الْأَجْرِ.. إِلَّا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا لَنَا**»، ثُمَّ يُبَيِّنُ الْعِلَّةَ، فَيَقُولُ: «**حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣٩ و٤٤٢٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَالْإِنْسَانُ بِنِيَّتِهِ يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَىٰ أَجْرِ الْعَامِلِ؛ شَرِيطَةَ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فِي تِلْكَ النِّيَّةِ، وَأَنْ يَحْجِزَهُ حَاجِزٌ وَيَمْنَعَهُ مَانِعٌ عَنْ أَدَاءِ الْعَمَلِ الَّذِي يَتَحَصَّلُ مِنْ وَرَائِهِ عَلَىٰ هَذَا الْأَجْرِ الْعَظِيمِ لَوْ كَانَ عَمِلَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ -كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- يَقُولُ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ؛ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**».

فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟!!» تَعْنِي: إِنَّمَا خَرَجَ مَعَهُمْ لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَلَا يُرِيدُ مَسَاءَةَ الْكَعْبَةِ وَلَا أَهْلِ الْحَرَمِ؛ فَكَيْفَ يُعَامَلُ هَؤُلَاءِ مُعَامَلَةَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِمْ؛ لِعُدْوَانِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ، وَطُغْيَانِهِمْ، وَجَوْرِهِمْ، وَظُلْمِهِمْ؟!!

فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ**»(١).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ إِنَّمَا تَؤُولُ إِلَىٰ النِّيَّةِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ.

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبُيُوعِ: بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْأَسْوَاقِ، (٢١١٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْفِتَنِ: بَابُ الْخَسْفِ بِالْجَيْشِ الَّذِي يَؤُمُّ الْبَيْتَ، (٢٨٨٣).

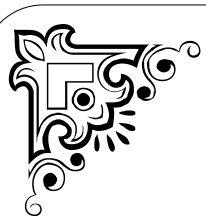

ضَرُورَةُ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى سَلَامَةِ قَلْبِهِ

يَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ الْمَرْءُ عَلَىٰ سَلَامَةِ قَلْبِهِ، وَطُهْرِ نَفْسِهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَبِيلًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعَمَلِهِ، يَعْنِي: أَنْ يَكُونَ مُرَاقِبًا لَهُ، حَرِيصًا عَلَيْهِ، شَحِيحًا بِآخِرَتِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَمِلَ الْعَمَلَ الَّذِي يُرْتَجَىٰ بِهِ مَا عِنْدَ اللهِ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ أَدْخَلَ مَعَ اللهِ سِوَاهُ، وَأَشْرَكَ مَعَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ غَيْرَهُ فِيمَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُرَائِيًا، يَكُونُ مُشْرِكًا، وَهَذَا يُعَاقَبُ.

يَعْنِي: لَنْ يَمْضِيَ الْأَمْرُ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ؛ حَتَّىٰ وَلَوْ حَرَمَ نَفْسَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا؛ وَلَكِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِكَيْ يُقَالَ: زَاهِدٌ، وَحَرَمَ نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ مَتَاعِ الدُّنْيَا لِيَتَعَلَّمَ وَيَتَفَرَّغَ لِلْعِلْمِ؛ لِكَيْ يُقَالَ: عَالِمٌ، لِكَيْ يُقَالَ: قَارِئٌ؛ حَتَّىٰ وَلَوْ ضَحَّىٰ بِنَفْسِهِ ظَاهِرًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَلَّوَعَلَا فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ شَهِيدًا، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُرَائِيًا، وَمِنْ أَوَّلِ مَنْ تُسَعَّرُ النَّارُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَشَأْنُ النِّيَّةِ شَأْنٌ عَظِيمٌ جِدًّا، وَاللهُ ﷻ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، اللهُ ﷻ لَا يُعْطِي جَمِيلَ الصُّورَةِ أَجْرًا أَكْبَرَ مِمَّا يُعْطِيهِ لِلدَّمِيمِ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يُعْطِي الصَّحِيحَ أَجْرًا لَا يُعْطِيهِ لِذِي الْعَاهَةِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَرَّكَ حَرَكَةً سَوِيَّةً، أَوْ أَنْ يَتَكَلَّمَ مُفْصِحًا وَمُبِينًا عَنْ مُرَادِهِ وَذَاتِ نَفْسِهِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىٰ ذَلِكَ.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

فَمَحَلُّ نَظَرِ الْحَقِّ إِلَىٰ الْخَلْقِ: الْقَلْبُ، وَأَمَّا مَحَلُّ نَظَرِ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْخَلْقِ؛ فَهُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي يَخْدَعُ وَيَضُرُّ؛ كَالْقَبْرِ: لَهُ ظَاهِرٌ يَسُرُّ، وَبَاطِنٌ مِنْ دُونِهِ يَضُرُّ؛ فَفِيهِ الْجِيَفُ، وَفِيهِ النَّتْنُ، وَفِيهِ الْأَشْلَاءُ، وَفِيهِ مَا فِيهِ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالدُّودِ وَمَا أَشْبَهَ، هَذَا هُوَ بَاطِنُهُ، وَأَمَّا ظَاهِرُهُ؛ فَقَدْ يَكُونُ مُجَصَّصًا، وَقَدْ يَكُونُ مُزَيَّنًا، وَقَدْ يَكُونُ مُزَخْرَفًا، فَكَذَلِكَ الَّذِي لَا يَكُونُ مُسْتَقِيمَ النِّيَّةِ وَالطَّوِيَّةِ للهِ جَلَّوَعَلَا، لَهُ ظَاهِرٌ يَسُرُّ، وَبَاطِنٌ مِنْ دُونِهِ يَضُرُّ؛ كَالْقَبْرِ: لَهُ ظَاهِرٌ يَسُرُّ، وَبَاطِنٌ مِنْ دُونِهِ يَضُرُّ.

فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِخْلَاصِهِ للهِ جَلَّوَعَلَا.

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، رقم (٢٥٦٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

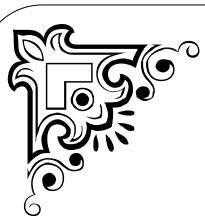

تَحَوُّلُ الْعَادَةِ إِلَى عِبَادَةٍ بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ يُحَوِّلُ الْعَادَةَ إِلَىٰ عِبَادَةٍ، فَكُلُّ النَّاسِ يَأْكُلُونَ، وَكُلُّ النَّاسِ يَشْرَبُونَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَتَىٰ بِالْوَاجِبِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يَأْتِي بِذَلِكَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِأُمُورٍ نَفْسِيَّةٍ تَجْعَلُهُ مَقْبُولًا: «**وَالرَّجُلُ يَجْعَلُ اللُّقْمَةَ فِي فِي امْرَأَتِهِ لَهُ بِهَا صَدَقَةٌ**»(١).

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُنَا أَنَّ الْمَرْءَ يَقْضِي شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ صَدَقَةٌ، قَالَ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَقْضِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟!».

قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ؛ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»(٢).

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: كِتَابُ الإِيمَانِ: بَابٌ مَا جَاءَ إِنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالحِسْبَةِ...، (٥٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: كِتَابُ الْوَصِيَّةِ: بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ، (١٦٢٨)، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كِتَاب الزَّكَاةِ: بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، (١٠٠٦)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

فَتَأَمَّلْ فِي شَأْنِ النِّيَّةِ، بِهَا تَتَحَوَّلُ الْعَادَةُ إِلَىٰ عِبَادَةٍ، وَأَمَّا الْمَخْذُولُونَ؛ فَإِنَّهُمْ يُحَوِّلُونَ الْعِبَادَاتِ إِلَىٰ عَادَاتٍ بِغِيَابِ النِّيَّةِ، أَوْ بِفَسَادِهَا وَخَطَلِهَا؛ فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الشَّرْطِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقْبَلَ عَمَلُهُ عِنْدَ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

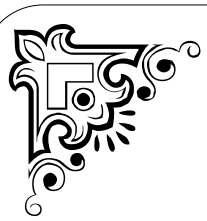

مُتَابَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَخُطُورَةُ الِابْتِدَاعِ

الْأَمْرُ الثَّانِي: هُوَ الْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

كُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ لَا تَتَوَفَّرُ فِيهِ شُرُوطُ الِاتِّبَاعِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِدْعَةً، وَالْبِدْعَةُ لَا تُقْبَلُ مِنَ الْمُبْتَدِعِ، وَإِنَّمَا يُعَاقَبُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ مِنْ سُوءِ حَالِ الْمُبْتَدِعِ: أَنَّ عَمَلَهُ الظَّاهِرَ نَاطِقٌ بِمَا يُكِنُّهُ فِي قَلْبِهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ عِنْدَمَا يَسْتَدْرِكُ عَلَىٰ الشَّرْعِ: إِنَّ الشَّرْعَ نَاقِصٌ، وَأَنَا أُكَمِّلُهُ!! أَوْ إِنَّ الشَّرْعَ قَدْ أَتَىٰ فِي هَذَا بِأَمْرٍ لَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ، وَأَنَا أُصَحِّحُهُ!!

لِأَنَّ اللهَ أَكْمَلَ الدِّينَ؛ فَلَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ، وَأَنْزَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ بِوَاحِدٍ وَثَمَانِينَ يَوْمًا فِي عَرَفَاتٍ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ؛ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فَأَكْمَلَ اللهُ الدِّينَ.

فَيَأْتِي الْمُبْتَدِعُ الَّذِي يَزِيدُ أَوْ يَنْقُصُ فِي الشَّرِيعَةِ، وَيَخْتَرِعُ أُمُورًا لَمْ يَنْزِلْ بِهَا كِتَابٌ، وَلَمْ تَنْطِقْ بِهَا سُنَّةٌ، يَأْتِي مِنْ أَجْلِ أَنْ يَزِيدَ، أَوْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْقُصَ!! مِنْ أَيْنَ؟!! وَإِلَىٰ أَيْنَ؟!! كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ ﷻ عِنْدَمَا قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لَمْ يَكُنْ صَادِقًا فِيمَا قَالَ!!

فَهَذَا الْمُبْتَدِعُ يَكُونُ مُعْتَرِضًا عَلَىٰ الشَّرْعِ فِي ظَاهِرِهِ، وَلِسَانُ حَالِهِ دُونَ مَقَالِهِ يَقُولُ: إِنَّ الشَّرْعَ لَيْسَ بِكَامِلٍ، وَأَنَا أُكَمِّلُهُ!! أَوْ إِنَّهُ يَسْتَدْرِكُ عَلَىٰ الشَّرْعِ؛ لِنَقْصٍ فِيهِ، أَوْ لِسُوءٍ يَعْتَرِيهِ، فَيَأْتِي هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُصَحِّحَ الْفَاسِدَ، وَأَنْ يُقِيمَ الْمَائِلَ!!

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَبَغَّضُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْبِدَعِ لَا يَغْفِرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ؛ بَلْ حَجَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ الْبِدَعِ، كَمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ: «**إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ**»(١).

فَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: وَلَكِنَّ فُلَانًا كَانَ مُبْتَدِعًا، فَهَدَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ السُّنَّةِ وَالْحَقِّ.

يُقَالُ: إِنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ هَاهُنَا قَوْلٌ أَغْلَبِيٌّ، أَوْ قَوْلٌ غَالِبِيٌّ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَيْسَ شَامِلًا لِكُلِّ مُبْتَدِعٍ؛ وَإِلَّا مَا كَانَ لِلدَّعْوَةِ مِنْ فَائِدَةٍ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُوَجَّهُ إِلَىٰ الْعُصَاةِ، تُوَجَّهُ إِلَىٰ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَتُوَجَّهُ إِلَىٰ الْمُبْتَدِعَةِ، فَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ لَا يَتْرُكُونَ

---

(١) أخرجه الطبراني «**المعجم الأوسط**»: (٤/ ٢٨١، رقم ٤٢٠٢)، وأخرجه أيضا ابن فيل في جزء له: (ص ٣٢، رقم ٢)، وأبو نعيم في «**طبقات المحدثين**»: (٣/ ٦٠٩ - ٦١٠)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٢/ ٥٤ - ٥٥، رقم ٩٠١١)، والهروي في «**ذم الكلام**»: (٥/ ١٥٢ - ١٥٣، رقم ٩٤٦)، والضياء في «**المختارة**»: (٦/ ٧٢ - ٧٣، رقم ٢٠٥٤)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.
وفي رواية: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ...».
والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (٤/ ١٥٤ - ١٥٥، رقم ١٦٢٠).

مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبِدَعِ؛ لَمَا كَانَ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ مَعْنًىٰ؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لَهُ؛ وَلَكِنْ حَجَبَ اللهُ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ.. لِمَاذَا؟

لِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ يَتَقَرَّبُ -بِزَعْمِهِ- بِبِدْعَتِهِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِذَا مَا قُلْتَ لَهُ: دَعْ هَذِهِ الْبِدْعَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُهَا، وَيَسْخَطُ هَذَا الْفِعْلَ، وَاتَّقِ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ يَتَعَجَّبُ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ بِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي ابْتَدَعَهُ وَأَحْدَثَهُ.. يَتَقَرَّبُ بِهِ للهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ لَا يَتْرُكُ الْقُرْبَةَ!! لَا يَتْرُكُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ بِزَعْمِهِ!! وَلَكِنْ لَوْ أَنَّهُ عَادَ إِلَىٰ ضَبْطِ الْأَعْمَالِ عَلَىٰ الْقَانُونِ الشَّرْعِيِّ حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَّبِعًا فِي الْعَمَلِ؛ لَعَلِمَ أَنَّ مَا أَتَىٰ بِهِ لَا يَشْهَدُ بِهِ كِتَابٌ، وَلَا تَنْطِقُ بِهِ سُنَّةٌ.

❀❀❀

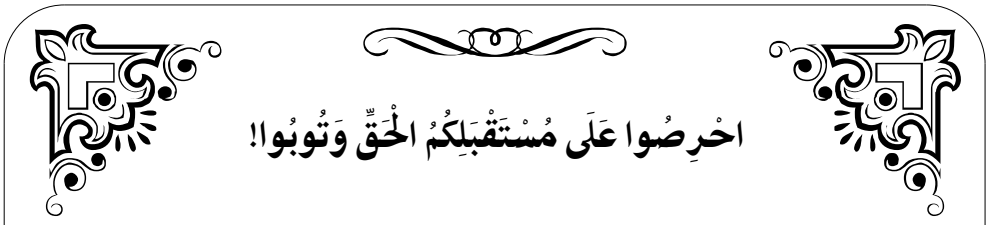

احْرِصُوا عَلَى مُسْتَقْبَلِكُمُ الْحَقِّ وَتُوبُوا!

عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِهِ الْأُخْرَوِيِّ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْأُخْرَىٰ هِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وَأَمَّا مَا نَحْنُ فِيهِ؛ فَهَذَا عَبَثٌ، وَلَهْوٌ، وَلَعِبٌ، وَزِينَةٌ، وَتَفَاخُرٌ بَيْنَ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَيَأْتِي الْمَوْتُ فَجْأَةً، فَيَقِفُ الْمَرْءُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَتَأْتِيهِ رُسُلُ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْبِضُوا رُوحَهُ، وَإِذَا كَانَ مُسِيئًا؛ عَلِمَ -حِينَئِذٍ- أَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ.

وَلَكِنْ لَوْ أَنَّ تَوْبَتَهُ تَأَخَّرَتْ حَتَّىٰ بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحُلْقُومَ؛ فَإِنَّ تَوْبَتَهُ لَا تُقْبَلُ؛ فَإِنَّ مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ التَّوْبَةِ: أَنْ يَتُوبَ الْمَرْءُ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ رُوحُهُ إِلَىٰ حُلْقُومِهِ، يَعْنِي: قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي النَّزْعِ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي أُخْرَيَاتِ الِاحْتِضَارِ، فَإِذَا مَا تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ تَوْبَتَهُ لَا تُقْبَلُ.

هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْفَرْدِ.

وَبِالنِّسْبَةِ لِمَجْمُوعِ النَّاسِ: إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَقَدْ أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ(١).

فَالْأَمْرُ مَفْتُوحٌ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْكَافِرِ، لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا كَفَرَ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كُفْرًا أَصْلَعَ، وَهَدَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَفَاءَ، وَرَجَعَ عَنْ غَيِّهِ، وَخَرَجَ مِنْ ضَلَالِهِ وَكُفْرِهِ، وَتَابَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

﴿فَإِن تَابُواْ﴾ هَاهُنَا يَعْنِي: أَقْلَعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ؛ فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ.

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَتُوبُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَمَاتِ، قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي لَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ فِيهِ.

---

(١) أخرج الترمذي في «**الجامع**»: أبواب الدعوات: بَاب فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ...، (٣٥٣٦)، والنَّسائي في «**المجتبىٰ**»: كتاب الطهارة: بَابُ التَّوْقِيتِ فِي الْمَسْحِ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ لِلْمُسَافِرِ، (١٢٧)، مختصرا، وابن ماجه في «**السنن**»: كتاب الفتن: بَابُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، (٤٠٧٠)، من حديث: صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ المُرَادِيَّ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا، عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ، لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصحح إسناده الألباني في «**صحيح سنن الترمذي**»: (٣/ ٤٥٣، رقم ٣٥٣٦).

وَلَكِنْ لَوْ أَنَّهُ مَاتَ مُشْرِكًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، فَالْأُولَىٰ لِمَنْ تَابَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ مِنْ ذَنْبِهِ؛ وَلَوْ كَانَ كُفْرًا، أَوْ شِرْكًا، أَوْ بِدْعَةً بَالِغَةً مَا بَلَغَتْ، الْمُهِمُّ أَنْ يُدْرِكَ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ إِنْ مَاتَ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ؛ فَلَنْ يَنْفَعَهُ أَحَدٌ، لَا يَنْفَعُهُ وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ، لَا يَنْفَعُهُ جَاهٌ وَلَا مَالٌ، لَا يَنْفَعُهُ أَحَدٌ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَرْءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، يَفِرُّ مِنْ أَبِيهِ، وَكَانَ لَهُ نِعْمَ الْوَالِدُ؛ وَلَكِنْ يَفِرُّ مِنْهُ، يَقُولُ: يَا وَلَدِي! أُرِيدُ مِنْكَ حَسَنَةً.

يَقُولُ: إِنَّمَا أَخْشَىٰ الْيَوْمَ مِمَّا تَخْشَىٰ مِنْهُ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ الْوَالِدُ مَعَ شَفَقَتِهِ عَلَىٰ وَلَدِهِ يَفِرُّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧].

فَالْمَسْؤُولِيَّةُ فَرْدِيَّةٌ.

دَعْكَ مِنَ التَّهْوِيشِ، وَدَعْكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْمُهَاتَرَاتِ، وَدَعْكَ مِنْ أَنْ تَدُسَّ أَنْفَكَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، أَوْ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا تُحْسِنُهُ وَلَا تَعْلَمُهُ، الْجَاهِلُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَرِفَ بِجَهْلِهِ، وَأَنْ يَتَّقِيَ اللهَ رَبَّهُ؛ لِأَنَّ كَلَامَ الْجَاهِلِ فِيمَا لَا يُحْسِنُهُ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّهُ قَوْلٌ عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالْقَوْلُ عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَكْبَرُ الْمُحَرَّمَاتِ تَحْرِيمًا فِي دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَالْمَرْءُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ، وَأَنْ يَعْرِفَ قَدْرَهُ!!

قَدْ يُؤْتِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مَا يُؤْتِيهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، لَيْسَتْ لَهَا قِيمَةٌ إِذَا مَا قِيسَتْ بِالْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ!!

الْعِلْمُ هُوَ الْعِلْمُ، وَالْجَهْلُ هُوَ الْجَهْلُ، وَعَلَىٰ الْجَاهِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ جَاهِلٌ، وَأَنْ يَكُفَّ عَنْ كَلَامِهِ، وَأَنْ يَكُفَّ عَنْ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَنْ يَتَّقِيَ اللهَ رَبَّهُ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِي دِينِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَائِلٌ عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُعْفِهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وَهَذَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي يُوحَىٰ إِلَيْهِ!! وَلَكِنْ لَوْ نَسَبَ إِلَىٰ اللهِ مَا لَمْ يُوحِ اللهُ ﷻ لَهُ بِهِ مِنْ وَحْيٍ؛ فَإِنَّهُ -حِينَئِذٍ- يَكُونُ قَائِلًا عَلَىٰ اللهِ الْأَقَاوِيلَ.

مَاذَا يَصْنَعُ اللهُ ﷻ بِهِ؟! وَقَدْ عَافَاهُ ﷺ، فَهَذَا تَرْهِيبٌ لَنَا نَحْنُ، لِمَنْ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَنَسْأَلُ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- أَنْ يُرِيَنَا الْحَقَّ حَقًّا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَنْ يُرِيَنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَوْعِظَةُ الثَّالِثَةُ:

مَرَاتِبُ الْحَسَدِ وَعِلَاجُهُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ الْحَسَدَ مِنْ أَكْبَرِ آفَاتِ الْقُلُوبِ؛ فَتَأَمَّلْ تَعْبِيرَهُ -سُبْحَانَهُ- عَنْ شَرِّ الْحَاسِدِ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ حَسَدٌ وَلَكِنْ يُخْفِيهِ، وَلَا يُرَتِّبُ عَلَيْهِ أَذًىٰ بِوَجْهٍ مَا؛ لَا بِقَلْبِهِ وَلَا بِلِسَانِهِ وَلَا بِيَدِهِ، بَلْ يَجِدُ فِي قَلْبِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُعَاجِلُ أَخَاهُ إِلَّا بِمَا يُحِبُّ اللهُ، فَهَذَا لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ.

قِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟».

قَالَ: «وَمَا أَنْسَاكَ أُخْوَةَ يُوسُفَ!»(١).

لَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْقُوَّةِ الَّتِي فِي قَلْبِهِ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يُطِيعُهَا وَلَا يَأْتَمِرُ لَهَا، بَلْ يَعْصِيهَا طَاعَةً للهِ، وَخَوْفًا وَحَيَاءً مِنْهُ، وَإِجْلَالًا لَهُ أَنْ يَكْرَهَ نِعَمَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، فَيَرَىٰ ذَلِكَ مُخَالَفَةً للهِ، وَبُغْضًا لِمَا يُحِبُّ اللهُ، وَمَحَبَّةً لِمَا يُبْغِضُهُ، فَهُوَ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَىٰ دَفْعِ ذَلِكَ، وَيُلْزِمُهَا بِالدُّعَاءِ لِلْمَحْسُودِ، وَتَمَنِّي زِيَادَةِ الْخَيْرِ لَهُ، بِخِلَافِ مَا إِذَا

---

(١) أخرجه هناد بن السري في «**الزهد**»: (٢/ ٦٤٢)، وابن حبان في «**روضة العقلاء**»: (ص١٣٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «**التوبيخ والتنبيه**»: (ص٤٢، رقم٧٢)، بإسناد صحيح، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ:

سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟» قَالَ: «لَا أَبَا لَكَ، أَمَا أَنْسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ حَيْثُ حَسَدُوا يُوسُفَ، وَلَكِنْ غُمَّ الْحَسَدَ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ يَعْدُ لِسَانَكَ، أَوْ تَعْمَلْ بِهِ يَدُكَ».

وفي رواية: «... مَا لَمْ تَعْدُ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا».

حَقَّقَ ذَلِكَ، وَحَسَدَ، وَرَتَّبَ عَلَىٰ حَسَدِهِ مُقْتَضَاهُ مِنَ الْأَذَىٰ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ؛ فَهَذَا الْحَسَدُ الْمَذْمُومُ هُوَ كُلُّهُ حَسَدُ تَمَنِّي الزَّوَالِ.

وَلِلْحَسَدِ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

إِحْدَاهَا: هَذِهِ.

وَالثَّانِيَةُ: تَمَنِّي اسْتِصْحَابِ عَدَمِ النِّعْمَةِ؛ فَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يُحْدِثَ اللهُ لِعَبْدِهِ نِعْمَةً، بَلْ يُحِبُّ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَىٰ حَالِهِ مِنْ جَهْلِهِ، أَوْ فَقْرِهِ، أَوْ ضَعْفِهِ، أَوْ شَتَاتِ قَلْبِهِ عَنِ اللهِ، أَوْ قِلَّةِ دِينِهِ، فَهُوَ يَتَمَنَّىٰ دَوَامَ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، فَهَذَا حَسَدٌ عَلَىٰ شَيْءٍ مُقَدَّرٍ، وَالْأَوَّلُ حَسَدٌ عَلَىٰ شَيْءٍ مُحَقَّقٍ، وَكِلَاهُمَا حَاسِدٌ عَدُوُّ نِعْمَةِ اللهِ وَعَدُوُّ عِبَادِهِ، وَمَمْقُوتٌ عِنْدَ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَعِنْدَ النَّاسِ، وَلَا يُسَوَّدُ أَبَدًا، وَلَا يُوَاسَىٰ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُسَوِّدُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيهِمْ، فَأَمَّا عَدُوُّ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ؛ فَلَا يُسَوِّدُونَهُ بِاخْتِيَارِهِمْ أَبَدًا إِلَّا قَهْرًا، يَعُدُّونَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ الَّتِي ابْتَلَاهُمُ اللهُ بِهَا، فَهُمْ يُبْغِضُونَهُ، وَهُوَ يُبْغِضُهُمْ.

وَالْحَسَدُ الثَّالِثُ: حَسَدُ الْغِبْطَةِ: وَهُوَ تَمَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ حَالِ الْمَحْسُودِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَزُولَ النِّعْمَةُ عَنْهُ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا يُعَابُ صَاحِبُهُ، بَلْ هَذَا قَرِيبٌ مِنَ الْمُنَافَسَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا، وَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ**(٢)، **وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ**(٣)».

فَهَذَا حَسَدُ غِبْطَةٍ.. الْحَامِلُ لِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ كِبَرُ نَفْسِهِ، وَحُبُّ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَالتَّشَبُّهُ بِأَهْلِهَا، وَالدُّخُولُ فِي جُمْلَتِهَا، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ سُبَّاقِهِمْ، وَعِلْيَتِهِمْ، وَمُصَلِّيهِمْ، لَا مِنْ فَسَاكِلِهِمْ، فَتَحْدُثُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْهِمَّةِ الْمُنَافَسَةُ وَالْمُسَابَقَةُ وَالْمُسَارَعَةُ، مَعَ مَحَبَّتِهِ لِمَنْ يَغْبِطُهُ، وَتَمَنِّي دَوَامِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ، فَهَذَا لَا يَدْخُلُ فِي الْآيَةِ بِوَجْهٍ مَا.

فَهَذِهِ الصُّورَةُ مِنْ أَكْبَرِ أَدْوِيَةِ الْمَحْسُودِ؛ فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ التَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ، وَالِالْتِجَاءَ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعَاذَةَ بِهِ مِنْ شَرِّ حَاسِدِ النِّعْمَةِ، فَهُوَ مُسْتَعِيذٌ بِوَلِيِّ النِّعَمِ

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ١٦٥، رقم ٧٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٥٥٩، رقم ٨١٦)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «آتَاهُ اللهُ» بِالْمَدِّ، أَيْ: أَعْطَاهُ، «مَالًا»، أَيْ: مَالًا كَثِيرًا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَلَالًا، «فَسَلَّطَهُ»، أَيْ: وَكَّلَهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ «عَلَىٰ هَلَكَتِهِ» بِفَتْحَتَيْنِ، أَيْ: إِنْفَاقِهِ وَإِهْلَاكِهِ، وَعَبَّرَ بِذَلِكَ لِيَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا، وَكَمَّلَهُ بِقَوْلِهِ: «فِي الْحَقِّ»؛ لِيُزِيلَ الْإِسْرَافَ الْمَذْمُومَ وَالرِّيَاءَ الْمَلُومَ، وَلَا سَرَفَ فِي الْخَيْرِ، كَمَا لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ.

(٣) «آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ»، وَهِيَ: مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ، «فَهُوَ يَقْضِي»، أَيْ: يَعْمَلُ وَيَحْكُمُ، «بِهَا»، أَيْ: بِالْحِكْمَةِ الَّتِي أُوتِيهَا، «وَيُعَلِّمُهَا»، أَيْ: غَيْرَهُ.

وَمُولِيهَا، كَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا مَنْ أَوْلَانِي نِعْمَتَهُ وَأَسْدَاهَا إِلَيَّ! أَنَا عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِبَهَا مِنِّي وَيُزِيلَهَا عَنِّي، وَهُوَ حَسْبُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَكَافِي مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يُؤَمِّنُ خَوْفَ الْخَائِفِ، وَيُجِيرُ الْمُسْتَجِيرَ، وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

فَمَنْ تَوَلَّاهُ، وَاسْتَنْصَرَ بِهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَانْقَطَعَ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ؛ تَوَلَّاهُ، وَحَفِظَهُ، وَحَرَسَهُ وَصَانَهُ، وَمَنْ خَافَهُ وَاتَّقَاهُ؛ آمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ وَيَحْذَرُ، وَجَلَبَ إِلَيْهِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَافِعِ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢- ٣].

فَلَا تَسْتَبْطِئْ نَصْرَهُ، وَرِزْقَهُ، وَعَافِيَتَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- بَالِغُ أَمْرِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا لَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَمَنْ لَمْ يَخَفْهُ أَخَافَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَا خَافَ أَحَدٌ غَيْرَ اللهِ إِلَّا لِنَقْصِ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨- ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

أَيُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ، وَيُعَظِّمُهُمْ فِي صُدُورِكُمْ؟! فَلَا تَخَافُوهُمْ، وَأَفْرِدُونِي بِالْمَخَافَةِ؛ أَكْفِكُمْ إِيَّاهُمْ.

فَهَذِهِ مَرَاتِبُ الْحَسَدِ، وَهَذَا بَعْضُ أَدْوِيَتِهِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَقُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَوْعِظَةُ الرَّابِعَةُ:

نَصِيحَةٌ ذَهَبِيَّةٌ لِكُلِّ مُبْتَلَى بِالْمَعَاصِي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَكَيْفَ يَتَعَامَلُ الْمُسْلِمُ الْمُبْتَلَىٰ بِالْمَعَاصِي؟

إِذَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي -أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا-؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: الْحَيَاءُ مِنَ اللهِ ﷻ، وَالْعِفَّةُ عَنْ مَحَارِمِهِ، عَلَىٰ الْمُبْتَلَىٰ بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يَتَيَقَّنَ بِأَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَلَذَّاتٍ هِيَ بِالْقَطْعِ إِلَىٰ زَوَالٍ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَىٰ أَنْ يَأْتِيَ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، قَالَ -تَعَالَىٰ- فِي وَصْفِ ذَلِكَ الْيَوْمِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وَلَا تَتِمُّ سَلَامَةُ الْقَلْبِ حَتَّىٰ يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ:

مِنْ شِرْكٍ يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ، وَبِدْعَةٍ تُخَالِفُ السُّنَّةَ، وَشَهْوَةٍ تُخَالِفُ الْأَمْرَ، وَغَفْلَةٍ تُنَاقِضُ الذِّكْرَ، وَهَوَىٰ نَفْسٍ يُنَاقِضُ التَّجَرُّدَ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا.

وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ حُجُبٌ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، لَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْهَا بِالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ ﷻ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: اسْتِحْضَارُ الْعُقُوبَةِ؛ فَعَلَىٰ الْعَاصِي أَنْ يَضَعَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ أَنَّهُ لَنْ يُفْلِتَ مِنَ الْعِقَابِ، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١-٢٢].

وَأَنَّ هَذَا الْعِقَابَ قَدْ يُعَاجِلُهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَتَكُونَ مَعِيشَتُهُ ضَنْكًا، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وَيُرْسِلُ عَلَيْهِ أَنْوَاعًا أُخْرَىٰ مِنَ الْهُمُومِ وَالْبَلَايَا، مَا يَجْعَلُهُ فِي نَكَدٍ دَائِمٍ وَحُزْنٍ مُسْتَمِرٍّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

وَإِذَا أَفْلَتَ الْعَاصِي مِنْ عِقَابِ الدُّنْيَا فَإِنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَشَقُّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

وَهَذِهِ تَشْمَلُ الدُّورَ الثَّلَاثَةَ: الدُّنْيَا، وَالْبَرْزَخَ، وَالْآخِرَةَ.

وَلِكَيْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا فَعَلَ سَيِّئَةً؛ فَإِنَّ عُقُوبَتَهَا تَنْدَفِعُ عَنْهُ بِعَشْرَةِ أَسْبَابٍ:

* **أَنْ يَتُوبَ**؛ فَيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، ﴿**فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ**ۗ **إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٩].

السَّبَبُ الثَّانِي: أَنْ يَسْتَغْفِرَ؛ فَيُغْفَرَ لَهُ.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ**ۚ **إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ**ۚ **ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ**﴾ [هود: ١١٤].

الرَّابِعُ: أَنْ يَدْعُوَ لَهُ إِخْوَانُهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

الْخَامِسُ: أَنْ يُهْدُوا لَهُ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ مَا يَنْفَعُهُ اللهُ بِهِ.

السَّادِسُ: أَنْ يَشْفَعَ لَهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

السَّابِعُ: أَنْ يَبْتَلِيَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي الدُّنْيَا بِمَصَائِبَ تُكَفِّرُ عَنْهُ.

الثَّامِنُ: أَنْ يَبْتَلِيَهُ فِي الْبَرْزَخِ بِالصَّعْقَةِ؛ فَيُكَفِّرَ بِهَا عَنْهُ.

التَّاسِعُ: أَنْ يَبْتَلِيَهُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْوَالِهَا بِمَا يُكَفِّرُ بِهِ عَنْهُ.

الْعَاشِرُ: أَنْ يَرْحَمَهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وَالْإِقْلَاعُ الْفَوْرِيُّ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَرَدُّ الْمَظَالِمِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَالِاعْتِذَارُ عَنِ الْإِسَاءَاتِ وَالْإِهَانَاتِ الَّتِي يَكُونُ قَدْ آذَىٰ بِهَا غَيْرَهُ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ اجْتِنَابُ الْكَبَائِرِ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَامَلُ بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُبْتَلَىٰ بِالْمَعَاصِي،

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

وَالِابْتِعَادُ عَنْ أَمَاكِنِ وَأَسْبَابِ وُقُوعِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَعَوَامِلِ إِثَارَتِهَا؛ كَالصُّحْبَةِ السَّيِّئَةِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَىٰ.

وَبَعْدَ الْإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعَاصِي وَرَدِّ الْمَظَالِمِ وَالْإِهَانَاتِ يَأْتِي الِاسْتِغْفَارُ وَتَأْتِي التَّوْبَةُ، فَهُمَا الْبَابُ الَّذِي لَا يُغْلِقُهُ اللهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ؛ فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا عَدَا الشِّرْكَ بِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَحَلَّىٰ بِصِفَتَيِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَجْلَبَةٌ لِمَغْفِرَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وَعَلَيْهِ -أَيْضًا- بِالذِّكْرِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ وَغُفْرَانِ الذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَمِمَّا يَتَعَامَلُ بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُبْتَلَىٰ بِالْمَعَاصِي: الثِّقَةُ بِرَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَسَعَةِ عَفْوِهِ؛ فَقَدْ كَتَبَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَيُذَكِّرُنَا رَبُّنَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ؛ بَلْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ مَرَّتَيْنِ؛ الْأُولَىٰ: فِي الْبَسْمَلَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، وَالثَّانِيَةُ: فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ الْمُبْتَلَىٰ بِالْمَعَاصِي أَنْ يُجَاهِدَ الشَّيْطَانَ، وَأَنْ يَتَّخِذَهُ عَدُوًّا، فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ بَعْدَ إِقْلَاعِهِ عَنِ الذَّنْبِ وَتَوْبَتِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ أَنْ يُحَصِّنَ مَوَاقِعَهُ؛ حَتَّىٰ لَا يَخْتَرِقَهَا عَدُوُّهُ اللَّدُودُ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾ [فاطر: ٦].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١].

وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْعَدُوَّ اللَّعِينَ يَتَّخِذُ مِنَ الْحِيَلِ وَالْأَسَالِيبِ مَا يَجْعَلُهُ يَرْتَدِي ثِيَابَ النَّاصِحِ الصَّدِيقِ، فَيَبْذُلُ الْكَثِيرَ مِنَ الْوُعُودِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَمَانِيِّ الْخَادِعَةِ، وَيَدْعُو أَصْحَابَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، ثُمَّ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ فَتِيلًا عِنْدَمَا يَقْضِي الْحَقُّ -تَعَالَىٰ- بَيْنَ الْعِبَادِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-(١): «عَلَّمَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الْحَرْبِ وَذَلِكَ الْجِهَادِ، فَجَمَعَهَا لَهُمْ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قَالَ: وَالْمُرَابَطَةُ هُنَا: لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ وَحِرَاسَتُهُ؛ لِئَلَّا يَدْخُلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، وَلُزُومُ ثَغْرِ الْعَيْنِ، وَالْأُذُنِ، وَاللِّسَانِ، وَالْبَطْنِ، وَالْيَدِ، وَالرِّجْلِ، وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَلَّا يُخْلِيَ هَذِهِ الثُّغُورَ؛ حَتَّىٰ لَا يُصَادِفَ الشَّيْطَانُ مِنْهَا ثَغْرًا خَالِيًا فَيَدْخُلَ مِنْهُ.

---

(١) «**الداء والدواء**»: (ص٢٢٨) باختصار وتصرف يسير.

وَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَعْظَمُهُمْ حِمَايَةً وَحِرَاسَةً مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَدْ أَخْلَوُا الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِلُزُومِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَدَخَلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، وَكَانَ مَا كَانَ.

وَجِمَاعُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ -الصَّبْرُ، وَالْمُصَابَرَةُ، وَالرِّبَاطُ-: هُوَ تَقْوَىٰ اللهِ ﷻ؛ إِذْ لَا يَنْفَعُ شَيْءٌ مِنْهَا بِدُونِ التَّقْوَىٰ، وَلَا تَقُومُ التَّقْوَىٰ إِلَّا عَلَىٰ سَاقِ الصَّبْرِ».

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِاللهِ جَلَّوَعَلَا مِنْ هَذَا الشَّيْطَانِ هِيَ مِنْ أَقْوَىٰ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يُحَصِّنُ بِهَا الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا الِاعْتِصَامُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-، وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ؛ لِدَرْءِ شَرِّ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَلَا تَزَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَبْهَرَهَا نُورُ الْإِيمَانِ، قَالَ -تَعَالَىٰ- فِي سُورَةِ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

فَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ طُولَ عُمُرِهِ فِي مُجَاهَدَةٍ لِنَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ بِاسْتِنْزَالِ نُورِ رَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَكُلَّمَا هَاجَتْ دَاعِيَةُ نَفْسِهِ إِلَىٰ شَهَوَاتٍ جَسَدِيَّةٍ، أَوْ أَهْوَاءٍ نَفْسِيَّةٍ مُحَرَّمَةٍ؛ لَجَأَ إِلَىٰ اللهِ، وَتَذَكَّرَ جَلَالَ اللهِ وَعَظَمَةَ اللهِ، وَمَا أَعَدَّ لِلْمُطِيعِينَ مِنْ ثَوَابٍ، وَلِلْعُصَاةِ مِنْ عَذَابٍ، فَانْقَدَحَ مِنْ قَلْبِهِ وَعَقْلِهِ خَاطِرٌ يَدْمَغُ خَاطِرَ الْبَاطِلِ، فَيَصِيرُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.

أَمَّا تَزْكِيَةُ النَّفْسِ؛ فَتَعْنِي التَّطَهُّرَ مِنَ الْأَدْنَاسِ، وَالسُّمُوَّ عَنِ النَّقَائِصِ، وَهِيَ بِذَلِكَ تَأْخُذُ عِنْدَ اللهِ حَظَّهَا مِنَ الرِّضْوَانِ، وَعِنْدَ النَّاسِ حَظَّهَا مِنَ الْكَرَامَةِ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالْفَلَاحِ مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ، فَقَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ [النور: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ(١): «جَعَلَ الْمَوْلَىٰ -سُبْحَانَهُ- غَضَّ الْبَصَرِ وَحِفْظَ الْفَرْجِ هُوَ أَزْكَىٰ لِلنَّفْسِ، وَبَيَّنَ أَنَّ تَرْكَ الْفَوَاحِشِ مِنْ زَكَاةِ النُّفُوسِ، وَزَكَاةُ النُّفُوسِ تَتَضَمَّنُ زَوَالَ جَمِيعِ الشُّرُورِ مِنَ الْفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ، وَالْكَذِبِ، وَنَحْوِهَا».

فَهَذَا مُجْمَلُ مَا يَتَعَامَلُ بِهِ الْمُسْلِمُ الَّذِي ابْتُلِيَ بِالْمَعَاصِي.

أَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُجَنِّبَنَا الْمَعَاصِيَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالطَّاعَاتِ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

---

(١) «**العبودية**» ضمن مجموع الفتاوىٰ: (١٠/ ١٨٨).

الْمَوْعِظَةُ الْخَامِسَةُ:

الدَّعْوَةُ إِلَى حُبِّ الْوَطَنِ

وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

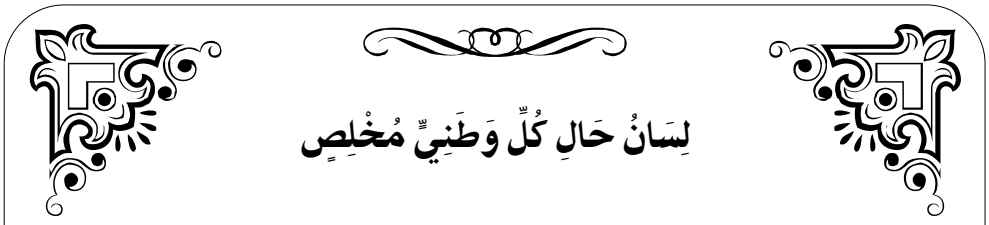

لِسَانُ حَالِ كُلِّ وَطَنِيٍّ مُخْلِصٍ

فَيُقْطَعُ لِسَانِي، وَتُبْتَرُ يَمِينِي، وَتُزْهَقُ رُوحِي وَلَا أَكُونُ سَبَبًا فِي فِتْنَةٍ تَمَسُّ ذَرَّةً مِنْ تُرَابِ أَرْضِكِ يَا مِصْرُ!

مِصْرُ أَرْضِي وَسَمَائِي..

مِصْرُ نِيلِي وَمَائِي..

مِصْرُ نَفَسِي وَهَوَائِي..

مِصْرُ ضَحِكِي وَبُكَائِي..

مِصْرُ يَأْسِي وَرَجَائِي..

مِصْرُ وَاحَاتِي وَصَحْرَائِي..

مِصْرُ حُبِّي وَعِشْقِي وَهَوَايَ وَدِمَائِي..

فَيُقْطَعُ لِسَانِي، وَتُبْتَرُ يَمِينِي، وَتُزْهَقُ رُوحِي وَلَا أَكُونُ سَبَبًا فِي فِتْنَةٍ تَمَسُّ ذَرَّةً مِنْ تُرَابِ أَرْضِكِ يَا مِصْرُ!

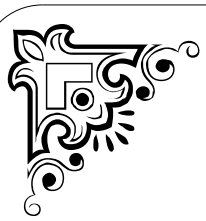

حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ فِي كُلِّ كَائِنٍ حَيٍّ

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ فِي كُلِّ كَائِنٍ حَيٍّ؛ النَّمْلُ وَالنَّحْلُ مِنَ الْحَشَرَاتِ -مِثَالٌ-، فَهِيَ تَبْنِي أَوْطَانَهَا، وَتَأْوِي إِلَيْهَا، وَتُدَافِعُ عَنْهَا، وَالْأَسْمَاكُ مِنْهَا مُهَاجِرٌ يَقْطَعُ الْبِحَارَ سِبَاحَةً، ثُمَّ تَؤُوبُ بَعْدُ إِلَىٰ أَوْطَانِهَا.

وَالطُّيُورُ مِنْهَا مُهَاجِرٌ يَقْطَعُ نَحْوَ أَلْفِ مِيلٍ فَوْقَ مِيَاهِ الْبِحَارِ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَىٰ وُكْنَاتِهَا -إِلَىٰ أَعْشَاشِهَا-، وَتَأْوِي إِلَىٰ أَوْطَانِهَا.

وَالْحَيَوَانَاتُ تَأْلَفُ مَوَاطِنَهَا، وَتُدَافِعُ عَنْهَا، وَتَأْوِي إِلَيْهَا -حَتَّىٰ الْحَمِيرُ-!!

قَالَ الْأُسْتَاذُ يَحْيَىٰ حَقِّي وَهُوَ يَرْوِي بَعْضَ مَا وَقَعَ لَهُ عِنْدَمَا كَانَ وَكِيلًا لِلنَّائِبِ الْعَامِّ فِي إِحْدَىٰ مُحَافَظَاتِ الصَّعِيدِ: «أُعِيدَ إِلَيَّ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ أُحَقِّقَ فِي قَضِيَّةٍ تَنَازَعَ فِيهَا رَجُلَانِ عَلَىٰ حِمَارٍ، كَانَ الْأَوَّلُ يَسِيرُ فِي سُوقِ الْقَرْيَةِ، فَإِذَا بِهِ يَهْجُمُ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ لَيْسَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُدِيرِيَّةِ، وَيُمْسِكُ بِخِنَاقِهِ، وَيَتَّهِمُهُ بِأَنَّ حِمَارَهُ مَسْرُوقٌ مِنْهُ هُوَ، يُقْسِمُ أَغْلَظَ الْأَيْمَانِ، وَالثَّانِي يُقْسِمُ بِأَيْمَانٍ أَغْلَظَ أَنَّ التُّهْمَةَ كَاذِبَةٌ، وَأَنَّهُ يَصِحُّ فِي الْحَمِيرِ كَمَا يَصِحُّ فِي النَّاسِ -يَخْلُقُ مِنَ الشَّبَهِ أَرْبَعِينَ!!-.

قَالَ: قُمْتُ مِنَ الْمَرْكَزِ وَمَعِي الْمُتَخَاصِمَانِ وَالْحِمَارُ حَتَّي بَلَغْنَا قَرْيَةَ الْأَوَّلِ -الْمُدَّعِي-، وَوَقَفْنَا عَلَىٰ مَشَارِفِهَا مِنْ بَعِيدٍ، ثُمَّ أَطْلَقْنَا الْحِمَارَ، فَجَرَىٰ وَاخْتَارَ.. اخْتَارَ مِنَ الدُّرُوبِ الْيَمِينَ، ثُمَّ الْيَسَارَ، ثُمَّ مَرَقَ بَيْنَ مَنَازِلِ الْقَرْيَةِ لَا يَتَرَيَّثُ حَتَّىٰ دَخَلَ جَرْيًا بَيْتَ الرَّجُلِ، يَكَادُ يَحْطِمُ الْبَابَ بِنَطْحَةٍ مِنْ رَأْسِهِ، وَكَانَ قَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ السَّرِقَةِ أَكْثَرُ مِنْ سَنَةٍ!!

هَلْ بَعْدَ هَذَا دَلِيلٌ؟!!

قَالَ: شَاهِدُ الْإِثْبَاتِ الْوَحِيدُ هُوَ الْحِمَارُ.. الْحِمَارُ نَفْسُهُ، وَهَيْهَاتَ أَنْ نَسُوقَهُ لِيَقِفَ أَمَامَ الْقَاضِي، فَلَا مَفَرَّ مِنْ أَنْ أَذْهَبَ أَنَا لِلْمَحْكَمَةِ، وَأَقُولَ لَهَا: أَنَا شَاهِدٌ حَاضِرٌ عَنِ الْحِمَارِ يَا أَفَنْدِم!!».

حَتَّىٰ الْحَمِيرُ تَأْلَفُ أَوْطَانَهَا، وَتُحِبُّهَا، وَتَأْوِي إِلَيْهَا؛ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ مِنَ الْبَشَرِ يُبْغِضُونَ أَوْطَانَهُمْ، وَيَسْعَوْنَ فِي هَدْمِهَا، وَتَقْوِيضِ أَرْكَانِهَا، وَإِحْدَاثِ الْفَوْضَىٰ وَالْخَرَابِ فِيهَا!!

أَلَمْ يَبْلُغُوا -بَعْدُ- مَبَالِغَ الْحَمِيرِ؟!!

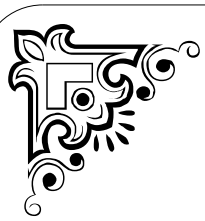

حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ

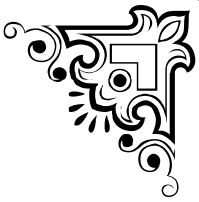

حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، وَكُلُّ سَوِيٍّ مِنَ الْبَشَرِ يُحِبُّ وَطَنَهُ، وَيَنْتَمِي إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ.. وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي قَلْبِهِ.. مَنْ لَمْ يَجِدْ فِي ضَمِيرِهِ وَعَقْلِهِ حُبَّ وَطَنِهِ؛ فَهُوَ شَاذٌّ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ، مُنْحَرِفٌ عَنِ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ، وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ عِلَاجٍ وَدَوَاءٍ!!

لَمَّا أُخْرِجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ قَالَ -وَهُوَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِمَكَّةَ يَنْظُرُ مِنْ خَلَلِ دُمُوعِهِ كَأَنَّمَا تَغْسِلُ الدُّورَ غَسْلًا، بَعْدَمَا لَوَّثَ الْمُشْرِكُونَ الْأَجْوَاءَ، وَبَعْدَمَا عَاثُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ-، يَقُولُ ﷺ لِمَكَّةَ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَلَوْ لَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي: (٥/ ٧٢٢، رقم ٣٩٢٥)، وابن ماجه: (٢/ ١٠٣٧، رقم ٣١٠٨)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ:
رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ، يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ**،...» فذكر الحديث.
=

فَرَسُولُ اللهِ يَجِدُ هَذَا الْحُبَّ فِي قَلْبِهِ لِمَكَّةَ -زَادَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَرَفًا-، وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم لَمَّا هَاجَرُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ كَانَتْ لَوَاعِجُ الْحُبِّ تَلْذَعُ مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ لَذْعًا، وَكَانُوا بِاللَّيْلِ يَتَقَلَّبُونَ عَلَىٰ مِثْلِ الْجَمْرِ، أَوْ عَلَىٰ مِثْلِ الْإِبَرِ، لَا يَهْدَأُ لَهُمْ بَالٌ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ، وَإِنَّمَا هُمْ فِي هَذَا الْجَوَىٰ اللَّاعِجِ كَالنَّارِ الَّتِي تَسْرِي فِي الْعُرُوقِ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**»(١).

فَكَانَ مَا طَلَبَهُ رَسُولُ اللهِ وَمَا دَعَا بِهِ اللهَ.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ حُبَّ وَطَنِهِ فِي قَلْبِهِ، وَضَمِيرِهِ، وَنَفْسِهِ، وَعَقْلِهِ؛ فَهُوَ شَاذٌّ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَعَنِ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ؛ فَلْيَبْحَثْ لِنَفْسِهِ عَنْ عِلَاجٍ وَدَوَاءٍ!!

❀❀❀

=

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وكذا صححه الألباني في «**الثمر المستطاب**»: (١/ ٥٠٩)، وفي هامش «**مشكاة المصابيح**»: (٢/ ٨٣٢، رقم٢٧٢٥).

وَ(الْحَزْوَرَةُ) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الزَّايِ: مُرْتَفَعٌ بمكة يلي البيت من الجهة الغربية، كَانَ وَلَا يَزَالُ سُوقًا مِنْ أَسْوَاقِ مَكَّةَ، وَهِيَ مَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِاسْمِ (القشاشية).

(١) أخرجه البخاري: (١١/ ١٧٩، رقم ٦٣٧٢)، ومسلم: (٣/ ١٠٠٣، رقم ١٣٧٦)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

وفي رواية للبخاري: (٤/ ٩٩ - ١٠٠، رقم ١٨٨٩)، بلفظ: «... **كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**،...».

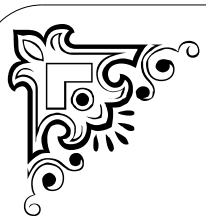

جِيلٌ عَرَفَ مَعْنَى كَلِمَةِ (بِلَادِي)

أَنْتَمِي إِلَىٰ جِيلٍ كَانَ يُرَدِّدُ كُلَّ صَبَاحٍ فِي أَفْنِيَةِ الْمَدَارِسِ فِي رُبُوعِ الْمَعْمُورَةِ -حَرَسَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ- يُرَدِّدُ كُلَّ صَبَاحٍ: «بِلَادِي بِلَادِي بِلَادِي، لَكِ حُبِّي وَفُؤَادِي».

وَقَدْ عَلَّمَنَا مُعَلِّمُونَا -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ- مَعْنَىٰ مَا نُرَدِّدُ، فَمَا كُنَّا نُرَدِّدُ تَرْدِيدَ مَنْ لَا يَفْهَمُ، وَلَكِنْ كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَبْلُغَ الْمَبَالِغَ فِي الْفَهْمِ لِهَذَا الَّذِي نُرَدِّدُهُ، مَا كُنَّا نُرَدِّدُ مَا لَا نَفْهَمُ، وَلَكِنْ كُنَّا نُرَدِّدُ تَرْدِيدَ مَنْ يَعِي وَيَعْلَمُ، فَعَرَفْنَا مَعْنَىٰ (بِلَادِي).

إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَخُونَ الْخَائِنُونَ!!

أَيَخُونُ إِنْسَانٌ بِلَادَهُ؟!!

إِنْ خَانَ مَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ؟!!

فَعَرَفْنَا مَعْنَىٰ كَلِمَةِ (بِلَادِي).. أَيَخُونُ مَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ؟!!

حَالُ كُلِّ مُغْتَرِبٍ مُخْلِصٍ مَعَ وَطَنِهِ

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَجَدَ مَا وَجَدَ مِنْ حُبِّهِ لِمَكَّةَ، وَكَذَا الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم حَتَّىٰ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ، فَوَجَدُوا الْمَحَبَّةَ لِمَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَكُلُّ مِصْرِيٍّ سَوِيٍّ اغْتَرَبَ؛ حَالُهُ مَعَ وَطَنِهِ هُوَ:

شَوْقٌ يَخُضُّ دَمِي إِلَيْهِ كَأَنَّ كُلَّ دَمِي اشْتِهَاء

جُوعٌ إِلَيْهِ كَجُوعِ دَمِ الغَرِيقِ إِلَىٰ الهَوَاء

شَوْقُ الجَنِينِ إِذَا اشْرَأَبَّ مِنَ الظَّلَامِ إِلَىٰ الوِلَادَة

إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَخُونَ الخَائِنُون

أَيَخُونُ إِنْسَانٌ بِلَادَه؟!!

إِنْ خَانَ مَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُون؟!!

الشَّمْسُ أَجْمَلُ فِي بِلَادِي مِنْ سِوَاهَا، وَالظَّلَام

حَتَّىٰ الظَّلَامُ هُنَاكَ أَجْمَلُ، فَهُوَ يَحْتَضِنُ الكِنَانَه

وَا حَسْرَتَاهُ!! مَتَىٰ أَنَام

فَأُحِسُّ أَنَّ عَلَىٰ الوِسَادَه

مِنْ لَيْلِكِ الصَّيْفِيِّ طَلًّا فِيهِ عِطْرُكِ يَا كِنَانَه؟[١]

حَفِظَ اللهُ مِصْرَ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.

وَاحْفَظْ وُلَاةَ أُمُورِنَا.. وَاحْفَظْ وُلَاةَ أُمُورِنَا.

وَاحْفَظْ وُلَاةَ أُمُورِنَا، وَوَفِّقْهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

* * *

---

(١) الأبيات للشاعر العراقي الكبير رائد الشعر الحر: بدر شاكر السياب (١٩٢٦-١٩٦٤م) الذي يعتبر من المجددين للقصيدة العربية في القرن العشرين، وهو أول من كتب شعر التفعيلة، من قصيدة: «غريب علىٰ الخليج»، وهي في ديوانه: «**أنشودة المطر**»: (٢/ ٨)، وقصيدة: «غريب علىٰ الخليج»، تعد آخر ما كتبه السياب في غربته سنة (١٩٦٠ م) حين كان يقاسي الألم والمرض والجوع، وخشيته الموت بعيدًا عن أرض وطنه، يقول في مطلعها:

«الريح تلهث بالهجيرة، كالجثام، علىٰ الأصيل
وعلىٰ القلوع تظل تُطوىٰ أو تُنشَّرُ للرحيل...».

انظر: «بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره» للدكتور إحسان عباس (ص ٢٠٦).

الْمَوْعِظَةُ السَّادِسَةُ:

قَضِيَّةُ الرِّزْقِ وَقَضِيَّةُ الْأَجَلِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

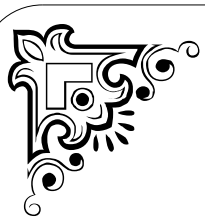

الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ مَحْسُومَانِ

فَإِنَّ أَعْظَمَ قَضِيَّتَيْنِ تَشْغَلَانِ النَّاسَ عَلَىٰ مَرِّ العُصُورِ وَكَرِّ الدُّهُورِ هُمَا:

*** قَضِيَّةُ الرِّزْقِ.**

*** وَقَضِيَّةُ الأَجَلِ.**

وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَسَمَ هَاتَيْنِ الْقَضِيَّتَيْنِ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا مَدْخَلَ لِأَحَدٍ فِيهِمَا بِزِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدَّرَ الْآجَالَ، وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ، وَكَتَبَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَلَا زِيَادَةَ فِي ذَلِكَ وَلَا نُقْصَانَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنْهُ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ** -يَعْنِي: جِبْرِيلَ عليه السلام- **نَفَثَ فِي رُوعِي** -وَالنَّفْثُ: هُوَ نَفْخٌ فَوْقَ النَّفْخِ الْمُجَرَّدِ، وَدُونَ التَّفْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِرِيقٍ يَسِيرٍ-، **إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي** -أَيْ: فِي نَفْسِي وَضَمِيرِي وَخَاطِرِي- **أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا**».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(١).

---

(١) أخرجه الطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٧٦٩٤)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (١٠/ ٢٦)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه.

=

بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ إِلَّا إِذَا اسْتَكْمَلَتْ أَجَلَهَا، وَاسْتَوْعَبَتْ رِزْقَهَا، وَهَذَا الْأَمْرُ دَارِجٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ عَوَامِّ النَّاسِ؛ فَإِنَّكَ تَجِدُ الْكُلَّ يَقُولُ: فُلَانٌ يَحْيَا بِرِزْقٍ، لَنْ تَجِدَ أَبَدًا أَحَدًا يَقُولُ: إِنَّ فُلَانًا يَحْيَا بِغَيْرِ رِزْقٍ.

فَكُلُّ إِنْسَانٍ لَا يَحْيَا إِلَّا بِرِزْقٍ، وَهَذَا الرِّزْقُ يَتَعَدَّدُ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ الْمَالِ، وَلَا عِنْدَ حُدُودِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَكُلُّ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَاللهُ ﷻ عِنْدَهُ خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مُطْلَقِ مَا يُقَالُ لَهُ شَيْءٌ، وَمِنْ بِدَايَةِ مَا يُقَالُ لَهُ شَيْءٌ، خَزَائِنُ الرِّزْقِ مِنَ الْمَالِ، وَمِنَ الْجَاهِ، وَمِنَ الشُّهْرَةِ، وَمِنَ الطَّعَامِ، وَمِنَ الشَّرَابِ، وَمِنَ الْكِسْوَةِ؛ حَتَّىٰ خَزَائِنِ الْهَمِّ وَخَزَائِنِ الْغَمِّ -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ-.

فَقَضِيَّةُ الرِّزْقِ مَحْسُومَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَتَقَاتُلُ النَّاسِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَقَاتُلٌ ذَرِيعٌ! وَكُلُّ مَا يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ إِنَّمَا يَعُودُ فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ فَرْجٍ وَفَمٍ، فَهَاتَانِ الشَّهْوَتَانِ سَبَبُ كُلِّ الْبَلَاءِ الْحَاصِلِ فِي هَذَا الْوُجُودِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَسَمَ لَنَا هَذِهِ الْأُمُورَ، وَبَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ

=

والحديث صححه بشواهده الألباني في تخريج «**مشكلة الفقر**»: (١٥)، وفي «صحيح الجامع»: (٢٠٨٥)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعا، بنحوه

يَتَّقُونَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرْزُقُهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

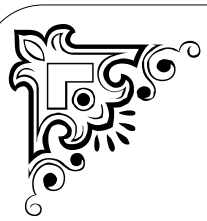

الرِّزْقُ عَطَاءُ نِعْمَةٍ وَمَنْعُ بَلَاءٍ

الرِّزْقُ قَدْ يَكُونُ بِالْإِيجَابِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالسَّلْبِ؛ فَإِنَّ مَا يَصْرِفُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ مِمَّا يُكَلِّفُهُ الْمَالَ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَمِنَ الْمَصَائِبِ وَمِمَّا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِمَّا يَسُوؤُهُ مِنَ الْقَدَرِ الَّذِي لَا يُوَاتِيهِ وَلَا يُلَائِمُهُ.. كُلُّ ذَلِكَ كَأَنَّمَا أُوتِيَهُ مَالًا وَحَصَّلَهُ رِزْقًا مِنْ عِنْدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَخَيْرُ الرِّزْقِ الْعَافِيَةُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنَا أَجْمَعِينَ-.

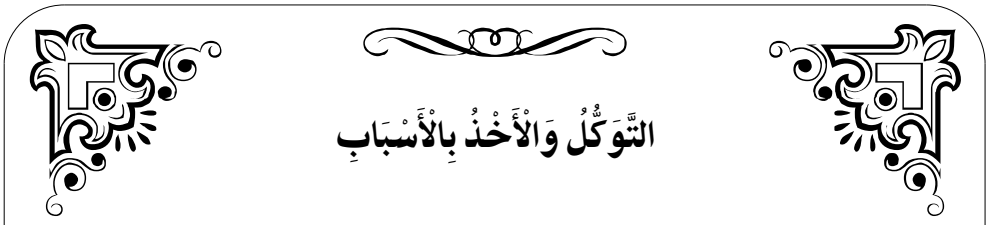

التَّوَكُّلُ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ رضي الله عنه فِيمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»(١).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:

* **الْأُولَىٰ**: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

* **وَالثَّانِيَةُ**: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهْمًا مَغْلُوطًا، وَلَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَغْلُوطِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ؛ فَإِنَّ الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ وَفِي الْأَعْشَاشِ لَا تَبْقَىٰ فِي أَعْشَاشِهَا، وَإِنَّمَا تُبَكِّرُ فِي الذَّهَابِ لِالْتِقَاطِ رِزْقِهَا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني في «**الصحيحة**»: (٣١٠).

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو...**»: وَالْغُدُوُّ: هُوَ الْخُرُوجُ فِي بُكْرَةِ النَّهَارِ، فَتَغْدُو هَذِهِ الطُّيُورُ مِنْ أَعْشَاشِهَا وَوُكُنَاتِهَا مِنْ أَجْلِ الْتِقَاطِ رِزقِهَا، مُبكِّرَةً مَعَ خُيُوطِ الْفَجْرِ الْأُولَىٰ، سَاعِيَةً فِي أَرْضِ اللهِ؛ لَكِنَّهَا لَا تَحْمِلُ لِرِزْقِهَا هَمًّا، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَرْزُقُهَا كَمَا رَزَقَهَا الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْيَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ رِزْقٍ.

وَالْحَيَاةُ وَالْأَجَلُ يَرْتَبِطَانِ بِالرِّزْقِ ارْتِبَاطًا مُبَاشِرًا؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْيَا كَائِنٌ حَيٌّ بِغَيْرِ رِزْقٍ، يَقُولُ النَّاسُ: «فُلَانٌ حَيٌّ يُرْزَقُ»، وَلَنْ تَجِدَ أَبَدًا أَنَّ فُلَانًا حَيٌّ لَا يُرْزَقُ؛ فَارْتِبَاطُ الْأَجَلِ بِالرِّزْقِ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بِصَيْرُورَةٍ تَمْضِي إِلَىٰ الْمَوْتِ، وَحِينَئِذٍ لَا أَجَلَ وَلَا رِزْقَ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الطُّيُورَ تَغْدُو مُبَكِّرَةً مِنْ أَعْشَاشِهَا تَطْلُبُ رِزْقَهَا، تَلْتَقِطُهُ فِي جَنَبَاتِ الْأَرْضِ، لَا تَحْمِلُ لَهُ هَمًّا، «**خِمَاصًا**»: جَمْعُ أَخْمَصٍ، وَهَذِهِ الْحَوَاصِلُ الْخُمْصُ قَدِ الْتَزَقَتْ لُحُومُهَا بِبَعْضِهَا؛ بِحَيْثُ إِنَّهَا لَا تَحْوِي شَيْئًا، «**تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»: وَقَدِ امْتَلَأَتْ بُطُونُهَا وَحَوَاصِلُهَا؛ مِنْ مَاذَا؟!!

مِنْ رِزْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

هَلْ قَدَّرْتَ لِذَلِكَ تَقْدِيرًا؟!!

هَلْ وَضَعْتَ لَهُ خُطَّةً لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ اكْتِسَابِهِ؟!!

إِنَّمَا أَخَذْتَ بِالْأَسْبَابِ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ رَبِّ الْأَسْبَابِ؛ بِحَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَخْرُجُ مِنْ قَيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَدْخَلٌ،

وَيَدْخُلُ فِي أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا يَدَّعِي رِزْقًا، وَلَا يَدَّعِي حَوْلًا وَلَا حِيلَةً؛ لِأَنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُهُ، وَهُوَ رَازِقُهُ، وَهُوَ مَالِكُ أَمْرِهِ، وَنَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ، وَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ حِكْمَتِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِيهِ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ فِيهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ.

وَأَمَّا الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ؛ فَهَذَا مَوْكُولٌ إِلَىٰ الْعَبْدِ، وَلَا يُعَوِّلُ الْمَرْءُ عَلَىٰ السَّبَبِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ كَثِيرًا بِالْأَسْبَابِ وَلَا يُحَصِّلُونَ شَيْئًا مِنَ النَّتَائِجِ؛ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَلْنَعْلَمْ جَمِيعًا أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ عَامِرٌ بِالْكَائِنَاتِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ، وَكُلُّهَا مَرْزُوقٌ مِنْ رِزْقِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَهُوَ أَمْرٌ عِنْدَمَا يَتَأَمَّلُ الْمَرْءُ فِيهِ يَكَادُ عَقْلُهُ يَذْهَبُ مِنْهُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ -مَثَلًا- وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكَائِنَاتِ الْبَحْرِيَّةَ الَّتِي تَحْيَا فِي الْبِحَارِ وَفِي الْمُحِيطَاتِ هِيَ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْبَرِّيَّةِ بِمَا لَا يُقَاسُ، وَكُلُّهَا مَرْزُوقَةٌ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا دَوْرَةُ حَيَاةٍ، تُولَدُ بِالْمِيلَادِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ، ثُمَّ تَمْضِي فِي حَيَاتِهَا بِرِزْقٍ مِنْ طَعَامٍ، أَوْ شَرَابٍ، أَوْ تَغْذِيَةٍ، أَوْ نَفَسٍ، أَوْ إِخْرَاجٍ، تَتَكَاثَرُ أَوْ لَا تَتَكَاثَرُ، ثُمَّ يَنْتَهِي أَجَلُهَا عِنْدَ حَدٍّ حَدَّدَهُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وَمَسَارِبُهَا فِي الْحَيَاةِ مَحْسُوبَةٌ.

هَذَا النَّمْلُ الَّذِي تَرَاهُ مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ كُلُّهُ مَخْلُوقٌ بِخَلْقِ اللهِ جَلَّوَعَلَا وَبِقُدْرَتِهِ، بَدَأَ بِبِدَايَةٍ مُعَيَّنَةٍ -بِبِدَايَةِ الْخَلْقِ لَهُ- بِكُلِّ نَمْلَةٍ نَمْلَةٍ، مِمَّا لَا يُحْصِيهِ

إِلَّا اللهُ جَلَّوَعَلَا، ثُمَّ تَمْضِي فِي حَيَاتِهَا مَرْزُوقَةً بِرِزْقِهَا، فَتَنْمُو شَيْئًا فَشَيْئًا، تَتَكَاثَرُ أَوْ لَا تَتَكَاثَرُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا انْتَهَىٰ عُمُرُهَا.

فِي دَوْرَةِ الْحَيَاةِ هَذِهِ حَرَكَةُ حَيَاةٍ وَحَرَكَةٌ فِي الْوُجُودِ، وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مَرْصُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مَا مِنْ شَيْءٍ!

فَإِذَا مَا تَنَزَّلْتَ إِلَىٰ الْكَائِنَاتِ الدُّنْيَا، وَأَخَذْتَ الْفَيْرُوسَاتِ -مَثَلًا-، وَمِنَ الْفَيْرُوسَاتِ مَا لَا يُرَىٰ بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ تَحْتَ الْمِجْهَرِ إِلَّا بِتَكْبِيرِهِ رُبُعَ مِلْيُون مَرَّةٍ (٢٥٠ أَلْفِ مَرَّةٍ) مِنْ أَجْلِ أَنْ يُرَىٰ هَذَا الْفَيْرُوسُ الَّذِي يَفْعَلُ فِي النَّاسِ مَا تَعْلَمُونَ، كَـ (فَيْرُوس سي) -مَثَلًا- فِي إِصَابَةِ الْكَبِدِ، فَهَذَا لَا يُرَىٰ إِلَّا مُكَبَّرًا رُبُعَ مِلْيُون مَرَّةٍ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَدَأَهُ وَبَدَأَ خَلْقَهُ فِي وَقْتٍ حَدَّدَهُ، وَجَعَلَ لَهُ دَوْرَةَ حَيَاةٍ، يُصِيبُ الْخَلِيَّةَ الْفُلَانِيَّةَ مِنَ الْكَبِدِ فِي وَقْتٍ يُحَدِّدُهُ اللهُ، وَبِطَرِيقَةٍ يَدْخُلُ بِهَا إِلَىٰ الْجَسَدِ، وَلَهُ تَغْذِيَتُهُ، وَلَهُ إِخْرَاجُهُ، وَلَهُ دَوْرَةُ حَيَاتِهِ بِتَكَاثُرِهِ، وَبِإِصَابَتِهِ لِمَا يُصِيبُهُ مِنْ تِلْكَ الْخَلَايَا فِي الْكَبِدِ الْإِنْسَانِيِّ مُدَمِّرًا أَوْ غَيْرَ مُدَمِّرٍ، ثُمَّ يَمْضِي فِي حَيَاتِهِ إِلَىٰ نِهَايَتِهَا بِأَعْدَادٍ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللهُ!! وَكُلُّ ذَلِكَ بِعَيْنِ الرِّعَايَةِ مَرْصُودٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَيْهِ رِزْقُهُ، وَيَمْضِي عَلَيْهِ أَجَلُهُ، وَكَذَلِكَ الْكَائِنُ الْإِنْسَانِيُّ.

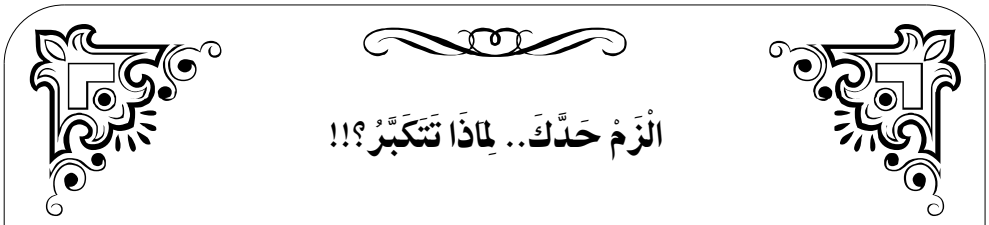

الْزَمْ حَدَّكَ.. لِمَاذَا تَتَكَبَّرُ؟!!

الْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَلْزَمَ حَدَّهُ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَأَنَّ هَذَا الَّذِي تَرَاهُ فِي هَذَا الْوُجُودِ مِنَ انْتِفَاخِ بَعْضِ النَّاسِ، وَمِنْ سَيْرِهِمْ فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّهُمْ أَنْصَافُ آلِهَةٍ! وَمِنْ قَوْلِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ: إِنَّمَا وَرِثْتُهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ! وَانْظُرْ إِلَىٰ أُصُولِي! وَانْظُرْ إِلَىٰ النَّسَبِ وَالْحَسَبِ وَمَا أَشْبَهَ!

كُلُّ هَذَا بَاطِلٌ لَا قِيمَةَ لَهُ، وَ«**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١)، وَأَيْنَ الْحَسِيبُ النَّسِيبُ أَبُو لَهَبٍ وَهُوَ مِنْ أَرُومَةِ قُرَيْشٍ، وَمِنْ صَفْوَةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!!

هُوَ فِي النَّارِ!!

وَأَيْنَ هُوَ مِنْ بِلَالٍ رضي الله عنه وَكَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مَمْلُوكًا، فَأَعْتَقَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه،

---

(١) جزء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، الذي أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وطرفه: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا**،...» الحديث.

فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا»(١)، يَعْنِي: بِلَالًا رضي الله عنه، يَقِفُ عَلَىٰ الْكَعْبَةِ مُؤَذِّنًا، وَقَدْ خَفَضَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ، وَتَوَاضَعَتْ رِقَابُ الْأَرُومَةِ الَّتِي كَانَتْ شَرِيفَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَصَارَتْ بِكُفْرِهَا تَحْتَ مَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ كَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَهَؤُلَاءِ فِي الْآخِرَةِ -يَعْنِي: الْمُتَكَبِّرِينَ- يُحْشَرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ، يَطَؤُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ، وَلَهُمْ فِي النَّارِ نَارٌ مَحْدُودَةٌ يُقَالُ لَهَا: (بُولَسُ)، وَهِيَ نَارُ الْأَنْيَارِ(٢).

«**وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ وَأَجْدَادِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا؛ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فِي دَعْوَاهُ كَالْجُعَلِ** -وَهُوَ الْجُعْرَانُ، وَهُوَ الْخُنْفُسَةُ كَمَا تَعْلَمُونَ- **كَالْجُعَلِ يُدَهْدِهُ الْخُرْءَ بِفِيهِ**»(٣)، مَنْ يَكُونُونَ؟!!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٤)، من حديث: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلَالًا».

(٢) أَخْرَجَهُ أحمد (١١/ ٢٦٠، رقم ٦٦٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي (٢٤٩٢) وحسنه، وغيرهم عن عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ مِنْ جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ: بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، وَيُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةَ الْخَبَالِ»، وحسنه الألباني في تعليقه علىٰ «الأدب المفرد».

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ (رَقْم ٥١١٦)، والتِّرمِذِيُّ (رَقْم ٣٩٥٥ و٣٩٥٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، ولفظ أبو داود: «...، **لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ**

الْإِنْسَانُ فِي النِّهَايَةِ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا بَدْءًا وَمُنْتَهَىٰ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ؛ فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِرَبِّهِ، وَأَنْ يَتَطَامَنَ لِخَالِقِهِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَالْعِزُّ فِي الذُّلِّ، الْعِزُّ فِي الْحَيَاةِ بِالذُّلِّ للهِ جَلَّوَعَلَا، وَالْحُرِّيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ فِي الْعُبُودِيَّةِ لِلْخَالِقِ الْأَعْلَىٰ جَلَّوَعَلَا.

فَنَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْحَمَنَا أَجْمَعِينَ دُنْيَا وَآخِرَةً.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.

❀❀❀

=

جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»، وروي عن حذيفة رضي الله عنه نحوه.

والحديثُ حسَنٌ إسنادُهُ، وصحَّحَ مَتْنَهُ الألْبَانِيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ رَقْم ٢٩٢٢ و٢٩٦٥).

الْمَوْعِظَةُ السَّابِعَةُ:

أَعْطُوا الْعِلْمَ بَعْضَ أَوْقَاتِكُمْ!

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

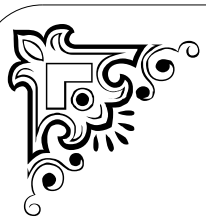

التَّوْحِيدُ حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ!**».

قُلْتُ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟**».

قَالَ: قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟!!».

قَالَ: «**لَا؛ إِذَنْ يَتَّكِلُوا**».

فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا مِنْ كَتْمِ الْعِلْمِ.

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٦/ ٥٨، رقم ٢٨٥٦)، و«**صحيح مسلم**»: (١/ ٥٨ - ٥٩، رقم ٣٠).

فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حَقَّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلِأَجْلِهِ نُصِبَتْ سُوقُ الْجِهَادِ، وَقَامَتِ الْمَلَاحِمُ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ، وَجُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ.

وَلِأَجْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ يُقِيمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- السَّاعَةَ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَلِأَجْلِهِ «**يُضْرَبُ الصِّرَاطُ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ**(١) **مُرْسَلٌ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ**(٢) **وَبِئْسَ الْقَرَارُ**»(٣).

وَلِأَجْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْبُدَ الْخَلْقُ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، هَذَا حَقُّ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ صَدَّقَ عَلَىٰ نَصِيحَةِ سَلْمَانَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عِنْدَمَا قَالَ لَهُ: «**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ**

---

(١) «**مخدوش**» بفتح الميم وسكون الخاء، أي: تأخذ الخطاطيف من لحمه فتمزقه وتسعفه النار ثم ينجو.

(٢) «**مُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ**»، أي: الْمُوثَق الْمُلْقىٰ فِيهَا، يقال: (رَجُلٌ مُكَرْدَسٌ)، أي: جُمِعَتْ يَدَاهُ ورِجْلاه وأُلْقِي.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كِتَابُ التَّوْحِيدِ: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، (٧٤٣٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: كِتَابُ الْإِيمَانَ: بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، (١٨٣)، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ -أَيْ: لِزَائِرِيكَ- **عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»**.

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ سَلَامَةَ هَذَا الْمَنْطِقِ، وَصِحَّةَ هَذَا الْكَلَامِ، فَقَالَ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»(١).

فَحَقُّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ أَوْلَىٰ الْحُقُوقِ بِالْأَدَاءِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُخْلِصَ الْإِنْسَانُ الْعِبَادَةَ لِلهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّ أَعْظَمَ الْحُقُوقِ عَلَىٰ الْعَبْدِ هُوَ تَوْحِيدُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، كَمَا أَنَّ أَظْلَمَ الظُّلْمِ أَنْ يُشْرِكَ الْإِنْسَانُ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَيْئًا؛ لِأَنَّ اللهَ اسْتَقَلَّ بِالْخَلْقِ، وَهُوَ مُسْتَقِلٌّ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُسْتَقِلٌّ بِالْكَلَاءَةِ وَالْحِفْظِ وَالرِّزْقِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

فَإِذَا كَانَ مُتَفَرِّدًا بِخَلْقِكَ، مُتَكَفِّلًا بِرِزْقِكَ، وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَكَ مِنَ الْعَدَمِ، وَأَنْشَأَكَ مِنْهُ وَبَرَاكَ وَسَوَّاكَ، وَهُوَ يَحْفَظُكَ وَيَكْلَؤُكَ وَيَرْعَاكَ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُصْرَفَ شَيْءٌ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ بَلْ إِنَّ مِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ أَنْ يُتَّخَذَ النِّدُّ مَعَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَهُوَ وَحْدَهُ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ وَالرَّازِقُ الْكَرِيمُ -سُبْحَانَهُ جَلَّ وَعَلَا-.

وَهَذَا الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ مَا أَرْسَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ جَمِيعَ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلَ بِهِ جَمِيعَ الْكُتُبِ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٢١٠، رقم ١٩٦٨) و(١٠/ ٥٣٤، رقم من حديث: أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْب السُّوَائِيّ رضي الله عنه.

فَمَا مِنْ نَبِيٍّ نُبِّئَ وَمَا مِنْ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَّا قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤]، وَهَذَا هُوَ بِالضَّبْطِ يُسَاوِي: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ لِأَنَّ دِينَ الْمُرْسَلِينَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، لَا يُجْزِئُ وَلَا يَنْفَعُ النَّفْيُ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُجْزِئُ وَلَا يَنْفَعُ الْإِثْبَاتُ وَحْدَهُ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا؛ بِنَفْيِ اسْتِحْقَاقِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَإِثْبَاتِ ذَلِكَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

فَمَنْ نَفَىٰ اسْتِحْقَاقَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَلَمْ يُثْبِتْهَا بِالْحَقِّ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا؛ فَلَيْسَ بِمُوَحِّدٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَثْبَتَهَا لِلهِ، وَلَمْ يَنْفِهَا عَمَّنْ سِوَاهُ وَمَا سِوَاهُ؛ فَلَيْسَ بِمُوَحِّدٍ، بَلْ هُوَ مُشْرِكٌ فِي الْحَالَيْنِ.

فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا؛ وَإِلَّا فَلَيْسَ بِمُوَحِّدٍ لِلهِ جَلَّوَعَلَا، لَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَهُمَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَإِنَّهَا نَفْيٌ: «لَا إِلَهَ..»، «إِلَّا اللهُ»: وَهَذَا إِثْبَاتٌ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّخْلِيَةِ وَالتَّحْلِيَةِ، مِنْ نَفْيِ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَإِثْبَاتِ الْعِبَادَةِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ شَيْئًا؛ أَدْخَلَهُ النَّارَ، وَخَلَّدَهُ فِيهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، فَالْأَمْرُ جِدٌّ، وَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فَاللهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ بِحَالٍ، وَكُلُّ ذَنْبٍ دُونَ الشِّرْكِ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَغْفِرُهُ، أَوْ يُعَذِّبُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُخْرِجُ مَنْ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ مِنَ النَّارِ لِيَدْخُلَ الْجَنَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، يَعْنِي: أَنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي يَتُوبُ الْعَبْدُ مِنْهَا، وَكَذَا الذُّنُوبُ الَّتِي دُونَ الشِّرْكِ فَمَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا، وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا فِي حَالِ الْحَيَاةِ فَهِيَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ النَّارَ؛ لَكِنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ.

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ: أَنَّ مَنْ أَتَىٰ بِهِ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الشِّرْكُ -وَهُوَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ-؛ فَإِنَّ مَنْ أَتَىٰ رَبَّهُ بِهِ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، وَإِذَا أَدْخَلَهُ بِهِ النَّارَ -وَهُوَ دَاخِلٌ لَا مَحَالَةَ- فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

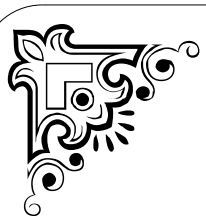

ضَرُورَةُ طَلَبِ الْعِلْمِ وَعَاقِبَةُ إِهْمَالِهِ

لَا بُدَّ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلهِ جَلَّوَعَلَا، وَلَا بُدَّ مِنْ تَحْدِيدِ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ تَائِهُونَ، لَا يَدْرُونَ مَا يَأْخُذُونَ وَمَا يَدَعُونَ، وَمَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ وَمَا عَنْهُ يَصْمُتُونَ، وَهَذَا وَاقِعٌ مَلْمُوسٌ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا جَاحِدٌ.

وَأَمَّا مَنْ آتَاهُ اللهُ ذَرَّةً مِنَ الْإِنْصَافِ؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ فِي حَيْرَةٍ وَضَلَالٍ، لَا يَدْرِي مَا الْمُرَادُ مِنْهُ، وَإِذَا عَلِمَ الْمُرَادَ مُجْمَلًا فَإِنَّهُ لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ بَعْضِ تَفَاصِيلِهِ مِمَّا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ مِنْهُ مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَىٰ التَّعْيِينِ -بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَيْكَ-؛ كَالصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَاجِبَةٌ مَفْرُوضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَفِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

وَالْإِنْسَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَلِّيَ حَتَّىٰ يَعْلَمَ الطَّهَارَةَ؛ مِنْ وُضُوءٍ، وَمِنْ غُسْلٍ، وَمِنْ بَدِيلٍ لَهُمَا، وَهُوَ التَّيَمُّمُ عِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا، ثُمَّ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يُصَلِّي، فَإِذَا بَلَغَ الْحُلُمَ فَقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، وَبِالتَّالِي وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ، هَذَا فَرْضٌ وَاجِبٌ كَالصَّلَاةِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُهْمِلُ فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَيَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَىٰ خَيْرٍ وَهُوَ يُهْلِكُ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أُمُورَ الِاعْتِقَادِ عِلْمًا مُجْمَلًا؛ لِأَنَّ تَفَاصِيلَ الِاعْتِقَادِ لَا تَلْزَمُ كُلَّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجْمَلُ الِاعْتِقَادِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ!! لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَبِالتَّالِي لَا يَخْشَاهُ، وَلَا يَرْجُو جَنَابَهُ، وَلَا يَرْجُو عَطَايَاهُ، وَهَذَا أَمْرٌ مَلْمُوسٌ.

بَلْ إِنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ مُرْجِئٌ مِنْ جَانِبٍ، وَهُوَ -أَيْضًا- جَبْرِيٌّ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الْعَمَلَ الَّذِي كَلَّفَ بِهِ الْإِنْسَانَ -أَعْنِي: الْعَمَلَ الصَّالِحَ-؛ جَعَلَهُ مِنْ مَاهِيَّةِ الْإِيمَانِ، فَمَنْ أَخْرَجَ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ فَهُوَ مُرْجِئٌ.

أَكْثَرُ النَّاسِ يُخْرِجُ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيَغْلُو فِي الْإِرْجَاءِ، فَتَسْمَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الصَّلَاةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْقَلْبِ وَطَهَارَةِ الْقَلْبِ، فَمَا دَامَ الْقَلْبُ طَاهِرًا أَبْيَضَ اللَّوْنِ نَقِيًّا نَاصِعَ الْبَيَاضِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ صَالِحٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ طَائِرًا كَمَا هُوَ فِي وَهْمِ الْوَاهِمِينَ!!

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ الْعِبَادَةِ، يُخْرِجُهَا مِنَ الْإِيمَانِ، وَهَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، هَذَا مُرْجِئٌ غَالٍ فِي الْإِرْجَاءِ، وَهَذِهِ مِنْ أَقْبَحِ الْبِدَعِ الَّتِي أَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَيَاتِهِمْ، وَهِيَ الَّتِي لِأَجْلِهَا تَجِدُ الْفَوْضَىٰ الْأَخْلَاقِيَّةَ، وَتَجِدُ انْفِلَاتَ الْأَلْسِنَةِ، وَانْفِلَاتَ السُّلُوكِ الْخُلُقِيِّ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الْإِرْجَاءِ؛ لِأَنَّهُ يُخْرِجُ الْعَمَلَ مِنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ.

وَفِي الْمُقَابِلِ أَكْثَرُ النَّاسِ جَبْرِيَّةٌ، إِذَا مَا احْتَجَّ عَلَىٰ تَرْكِ الصَّلَاةِ -مَثَلًا- احْتَجَّ بِالْقَدَرِ، يَعْنِي: إِذَا قُلْتَ لَهُ: لِمَ لَا تُصَلِّي؟! لَقَدْ دَخَلَ الْوَقْتُ، وَيُوشِكُ أَنْ يَخْرُجَ!!

فَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيَّ أَلَّا أُصَلِّيَ!! وَمَا أَصْنَعُ؟! هَذَا قَدَرٌ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ!! وَهُوَ كَاذِبٌ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْلَمُ مَا قُدِّرَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَقَعَ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقُولَ: قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أُصَلِّيَ أَوْ لَا أُصَلِّيَ حَتَّىٰ أُصَلِّيَ أَوْ لَا أُصَلِّيَ!!

إِذَنْ؛ هَذَا أَمْرٌ مُغَيَّبٌ، فَكَيْفَ تَحْتَجُّ بِمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ؟!!

فَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَحْتَجُّ عَلَىٰ الْمَعَاصِي بِالْقَدَرِ، وَيَنْفَلِتُ زِمَامُهُ فِي الْمَعَاصِي وَالْمَلَذَّاتِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَإِذَا لِيمَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِذَا أُخِذَ بِهِ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ وَفَزِعَ إِلَيْهِ، وَالْقَدَرُ لَا يُذْكَرُ إِلَّا عِنْدَ الْمُصِيبَاتِ، لَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ دَائِرٌ بَيْنَ ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ، لَا يَخْلُو إِنْسَانٌ مِنْ وَاحِدَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِعْمَةٍ فَحَقُّهَا الشُّكْرُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ فَحَقُّهَا الصَّبْرُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي ذَنْبٍ وَخَطِيَّةٍ فَحَقُّهَا التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ، لَيْسَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ الْمَعَاصِي.

فَهَذَا الْخَلَلُ الْوَاقِعُ يَشْمَلُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ يَشْمَلُ جُلَّ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذَا إِلَّا أَهْلُ الْعِلْمِ أَهْلُ السُّنَّةِ، الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَالْتَزَمُوا بِهِ، وَحَرَصُوا عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ وَتَعَلُّمِهِ، وَالْقِيَامِ بِهِ حَالًا وَتَطْبِيقًا وَتَعْلِيمًا.

وَأَمَّا الَّذِينَ يُغْفِلُونَ هَذَا فَهُمْ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ، قَدْ يَمُوتُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مُشْرِكًا، قَدْ يَكُونُ مُشَبِّهًا أَوْ مُمَثِّلًا لِلهِ جَلَّوَعَلَا بِخَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ تَوَرَّطَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ.

وَقَدْ يَأْتِي مِنَ الرِّيَاءِ مَا يُدْخِلُهُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَرُبَّمَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْمِلَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»[١] بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ-: «**تَعِسَ**[٢] **عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ**[٣]، **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ**[٤]، **وَإِذَا شِيكَ** -أَيْ: دَخَلَتْ فِي جِلْدِهِ أَوْ جَسَدِهِ شَوْكَةٌ- **فَلَا انْتَقَشَ** -يَعْنِي: يَدْعُو عَلَيْهِ بِأَلَّا تُخْرَجَ الشَّوْكَةُ مِنْ جَسَدِهِ بِالْمِنْقَاشِ، وَهُوَ الْمِلْقَاطُ الْمَعْرُوفُ-، **طُوبَىٰ**[٥] **لِعَبْدٍ آخِذٍ**

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٦/ ٨١، رقم ٢٨٨٦ و٢٨٨٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) «**تَعِسَ**» بِكَسْرِ الْعَيْنِ، وَيَجُوزُ الْفَتْحُ: (تَعَس)، أَيْ: عثر فَسقط لوجهه، والمراد الدعاء عليه بالخيبة والخسران.

(٣) «**الْخَمِيصَةُ**»: كِسَاءٌ رقيق مُرَبَّع مطرز أو منقوش الطَّرَفَيْنِ وَأَكْثر مَا تكون سُودًا، وَكَانَتْ مِنْ لِبَاسِ النَّاسِ قَدِيمًا.

(٤) «**وَانْتَكَسَ**»، أَي: انْقَلب علىٰ رَأسه فَصَارَ ذَلِيلًا، و(الانتكاس) في الأصل: معاودة المرض بعد شفائه.

(٥) «**طُوبَىٰ**» علىٰ وزن (فُعْلَىٰ) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ، أَيْ: حَالَةٌ طَيِّبَةٌ.

قال ابن حجر في «**فتح الباري**»: (٣/ ٨٣): «فِي قَوْلِهِ: «**طُوبَىٰ لِعَبْدٍ...**» إِلَخْ: إِشَارَةٌ إِلَىٰ الْحَضِّ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

بِعِنَانِ فَرَسِهِ(١) فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ(٢)، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ(٣)، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ(٤)، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ(٥)».

فِي وَصْفِ الْأَوَّلِ يَقُولُ: «**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ(٦)**»؛ فَهَذَا يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ، لَا يَعْمَلُ لِرَبِّهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ «**إِذَا كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، أَوْ**

---

(١) «**بِعِنَانِ فَرَسِهِ**» بِكَسْرِ الْعَيْنِ، أَيْ: بِلِجَامِهِ.

(٢) «**إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ**» بِكَسْرِ الْحَاءِ، أَيْ: حِمَايَةِ الْجَيْشِ وَمُحَافَظَتِهِمْ عَنْ أَنْ يَتَهَجَّمَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، «**كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ**»: كَامِلًا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ أَيْضًا، وَ(الْحِرَاسَةُ) وَإِنْ كَانَتْ فِي اللُّغَةِ أَعَمَّ لَكِنَّهَا فِي الْعُرْفِ مُخْتَصَّةٌ بِمُقَدِّمَةِ الْعَسْكَرِ.

وَالْمَعْنَىٰ: إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ أَوِ السَّاقَةِ يَبْذُلُ جُهْدَهُ فِيهَا وَلَا يَغْفُلُ عَنْهَا ويؤتمر لِمَا أُمِرَ ويقيم حَيْثُ أُقِيمَ، فلَا يُفْقَدُ مِنْ مَكَانِهِ بِحَالٍ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْحِرَاسَةَ وَالسَّاقَةَ لِأَنَّهُمَا أَشَدُّ مَشَقَّةً وَأَكْثَرُ آفَةً.

قال ابن الجوزي في «**كشف المشكل**»: (٣/ ٥٣٩، رقم ٢٠٥٩): «الْمَعْنىٰ: أَنه خامل الذّكر لَا يقْصد السمو، فَأَيْنَ اتّفق لَهُ كَانَ فِيهِ».

(٣) «**إِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ**»، أَيْ: فِي مُؤَخَّرَةِ الْجَيْشِ، «**كَانَ فِي السَّاقَةِ**»، أَيْ: غَيْرَ مُقَصِّرٍ فِيهَا بِالنَّوْمِ وَالْغَفْلَةِ وَنَحْوِهِمَا.

(٤) «**إِنِ اسْتَأْذَنَ**»، أَيْ: طَلَبَ الْإِذْنَ فِي دُخُولِ مَحْفِلٍ، «**لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ**»، أَيْ: لِعَدَمِ مَالِهِ وَجَاهِهِ.

(٥) «**إِنْ شَفَعَ**»، أَيْ: لِأَحَدٍ، «**لَمْ يُشَفَّعْ**» بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ الْمَفْتُوحَةِ، أَيْ: لَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُ.

(٦) «**إِنْ أُعْطِيَ**»، أَيْ: هَذَا التَّعِيسُ، «**رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**» بِكَسْرِ الْخَاءِ، أَيْ: غَضِبَ.
=

كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ»، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ إِلَهًا وَاحِدًا ﷻ، يَعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ دِينَهُمْ، مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ بِجِمَاعِ قُلُوبِهِمْ وَبِخَاصَّةِ أَرْوَاحِهِمْ.

❀❀❀

=

وَالْجُمْلَةُ بَيَانٌ لِشِدَّةِ حِرْصِهِ وَانْقِلَابِ حَالِهِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ ﷻ عَنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ، بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨]، وَكَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

ضَرُورَةُ الْخُرُوجِ مِنَ الِاسْتِهَانَةِ وَالِاسْتِهْتَارِ

عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَفِتَ!

وَعَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ!

وَعَلَيْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ هَذَا الِاسْتِهْتَارِ وَهَذِهِ الِاسْتِهَانَةِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِالْمُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمَةِ؛ خَاصَّةً فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَإِنَّ مَا وَقَعَ مُنْذُ خَمْسَةِ أَعْوَامٍ(١) فِي مِصْرَ -مَثَلًا- أَدَّىٰ إِلَىٰ انْهِيَارٍ أَخْلَاقِيٍّ كَادَ يَكُونُ تَامًّا، وَأَدَّىٰ إِلَىٰ تَحَلُّلٍ مِنَ الدِّينِ؛ حَتَّىٰ إِنَّ النَّاسَ نَسُوا تَمَامًا الْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ، فَصَارُوا يُوَالُونَ الْكُفَّارَ، وَيُقَدِّمُونَهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَيُعَادُونَ أَوْلِيَاءَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيُحَارِبُونَهُمْ! تَبَدَّلَتِ الْمَفَاهِيمُ، وَانْقَلَبَتِ الْأُمُورُ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمْرٍو إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ(٢) مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ(١)، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا** -وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ-».

---

(١) أُلْقِيَت هَذِهِ الْمَوْعِظَة فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ٢٤ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٧هـ/ ٢٩-٧-٢٠١٦م.

(٢) «**حُثَالَة مِنَ النَّاسِ**» بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ، أي: سفلة الناس وشرارهم، والْحُثَالَة مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: رديئه وثُفْله وما لا خير فيه.

=

قَالَ: «مَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**خُذْ مَا تَعْرِفُ**(٢)، **وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ**(٣)، **وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ عَامَّتِهِمْ**(٤)»(٥).

كَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ «**الْأَمَانَةَ هِيَ أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْأُمَّةِ**»(٦)،.....

=

وَ«**الثُّفْل**» بالثاء المضمومة: ما يتبقىٰ ويرسب مِنْ كلِّ شَيْءٍ، ومنه قيل: ثُفْل الشاي.

(١) «**مَرِجَتْ**» بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، أَيِ: اخْتَلَطَتْ وَفَسَدَتْ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٖ مَّرِيجٖ﴾ [ق: ٥]، أَي: مختلط فاسد، وأصل (المرج): أَن يقلق الشَّيْء فَلَا يسْتَقرّ، يُقَال: مرج الْخَاتم فِي يَدي مرجا: إِذا قلق، وَ«**عُهُودُهُمْ**»: العهد هنا هو: حفظ الدين ورعاية حرمته، وَإِنَّمَا شَبكَ أَصَابِعه ليمثل اختلاطهم.

(٢) «**خُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ**»، أَيِ: الْزَمْ وَافْعَلْ مَا تَعْرِفُ وَاتْرُكْ مَا تُنْكِرُ أَنَّهُ حَقٌّ من دينك، والمراد: احْفَظْ دِينَكَ.

(٣) «**عَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ**»، أَي: مَا يخصك ويلزمك النّظر فِيهِ.

(٤) «**وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ عَامَّتُهُمْ**»، أي: الْزَمْ أَمْرَ نَفْسِكَ، وَاتْرُكِ النَّاسَ وَلَا تُتْبِعْهُمْ.

(٥) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ٥٦٥، رقم ٤٧٨) مختصرا، وأبو داود في «**السنن**»: (٤/ ١٢٣ - ١٢٤، رقم ٤٣٤٢ و ٤٣٤٣)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ١٣٠٧، رقم ٣٩٥٧)، وأحمد في «**المسند**»: (٢/ ١٦٢، رقم ٦٥٠٨) واللفظ له.

والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٤١٤ - ٤١٦، رقم ٢٠٥).

(٦) أخرج البخاري في «**التاريخ الكبير**»: (٢/ ١٥٨، ترجمة ٢٠٤٩)، والخرائطي في «**مكارم الأخلاق**»: (ص٧٢، رقم ١٧١)، وتمام في «**الفوائد**»: (١/ ٨٤، رقم ١٩١)، والقضاعي في «**المسند**»: (١/ ١٥٥-١٥٦، رقم ٢١٦ و ٢١٧)، والضياء في «**المختارة**»: (٤/ ٤١٠، رقم ١٥٨٣)، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ:

=

«**يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَلَا تَجِدُ رَجُلًا أَمِينًا فِيهِ**»(١)، لَا تَجِدُ وَاحِدًا يُوصَفُ بِالْأَمَانَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَالْأَمَانَةُ أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا دِينَنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الصَّبْرَ عَلَىٰ الْعِلْمَ؛ لِأَنَّ «الْعِلْمَ ذَكَرٌ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا الذُّكْرَانُ مِنَ الرِّجَالِ»(٢)، وَأَمَّا الْمُخَنَّثُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْعِلْمَ، وَلَا

=

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلَاةُ**».

قَالَ ثَابِتٌ عِنْدَ ذَلِكَ: قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي، وَإِنِ ائْتُمِنَ عَلَىٰ أَمَانَةٍ لَمْ يُؤَدِّهَا.

والحديث حسن إسناده بشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: (٤/ ٣١٩-٣٢٠، رقم ١٧٣٩)، وروي أيضا عن عمر وأبي هريرة وعَائِشَةَ وشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنهم، مرفوعا، بنحوه، وعن ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما، موقوفا.

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (١١/ ٣٣٣، رقم ٦٤٩٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ١٢٦، رقم ١٤٣)، من حديث: حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**» **وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَىٰ أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَىٰ رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا،...**».

(٢) «**الْعِلْمُ ذَكَرٌ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا الذُّكْرَانَ مِنَ الرِّجَالِ**»، أَيِ: الرِّجَال الَّذِينَ يُحِبُّونَ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَتَنَزَّهُونَ سَفْسَافِهَا.

وهذا القول مأثور عن ابن شهاب الزهري رحمه الله؛

=

يَصْبِرُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَيْءٍ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْجَاهِلَ إِذَا وُصِفَ بِالْعِلْمِ اسْتَبْشَرَ وَفَرِحَ، وَأَمَّا إِذَا وُصِفَ بِمَا هُوَ فِيهِ.. أَمَّا إِذَا مَا وُصِفَ الْجَاهِلُ بِالْجَهْلِ وَهُوَ فِيهِ، وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ مِنْهُ فِي نَفْسِهِ؛ غَضِبَ، يَعْنِي: لَوْ قُلْتَ لِرَجُلٍ جَاهِلٍ: يَا جَاهِلُ! فَلَرُبَّمَا أَوْسَعَكَ ضَرْبًا، وَلَرُبَّمَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكَ اعْتِدَاءً بَدَنِيًّا بِالضَّرْبِ، وَرُبَّمَا بِالْجَرْحِ أَوْ بِالْقَتْلِ، مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَصِفْهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ.

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَضَّلَ بِالْعِلْمِ كَلْبًا عَلَىٰ كَلْبٍ؛ فَإِنَّ الْكَلْبَ الْمُعَلَّمَ إِذَا أَمْسَكَ الصَّيْدَ عَلَىٰ صَاحِبِهِ؛ فَقَدْ أَذِنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلصَّائِدِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ، وَأَمَّا الْكَلْبُ الْجَاهِلُ غَيْرُ الْمُعَلَّمِ؛ فَلَوْ أَمْسَكَ الصَّيْدَ عَلَىٰ صَاحِبِهِ فَذَفَّفَهُ[1] -يَعْنِي:

=

فأخرج ابن قتيبة في «**غريب الحديث**»: (٢/ ٢٢٩)، والدولابي في «**الكنىٰ**»: (٣/ ١١٥٦-١١٥٧، رقم ٢٠١٥)، والرامهرمزي في «**المحدث الفاصل**»: (ص١٧٩، رقم ٣١ و٣٢)، وابن عدي في مقدمة «**الكامل**»: (١/ ١٤٠)، والحاكم في مقدمة «**المدخل**»: (ص٢٧)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٣/ ٣٦٥)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم وفضله**»: (١/ ٢٥١ و٧٨٤)، بإسناد صحيح، عن ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: «الْعِلْمُ ذِكْرٌ؛ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا الذُّكُورُ مِنَ الرِّجَالِ».

وزاد في رواية: «...، وَلَا يَكْرَهُهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مُؤَنَّثُوهُمْ»، وفي رواية: «لَا يَطْلُبُ الْحَدِيثَ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا ذُكْرَانِهَا، وَلَا يَزْهَدُ فِيهِ إِلَّا إِنَاثُهَا».

وَفِي كَلَامِ الزُّهْرِيِّ إِيمَاءٌ بِطَرِيقِ الْمَفْهُومِ وَالْمُقَابَلَةِ إِلَىٰ أَنَّ الدُّنْيَا أُنْثَىٰ لَا يُحِبُّهَا إِلَّا نَاقِصُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْمَرَاتِبَ الدَّنِيَّةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) «**فَذَفَّفَه**» بتشديد الفاء الأولىٰ، أي: أجهز عليه وقتله بسرعة، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «فَذَفَّفْتُ عَلَىٰ أَبِي جَهْلٍ».

خَرَجَتْ رُوحُهُ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ صَاحِبُهُ حَيًّا لِيُذَكِّيَهُ-؛ فَلَيْسَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ صَيْدِ الْكَلْبِ الْجَاهِلِ(١).

فَضَّلَ اللهُ كَلْبًا عَلَىٰ كَلْبٍ بِالْعِلْمِ؛ فَكَيْفَ بِالْبَشَرِ الَّذِينَ كَرَّمَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟!!(٢).

❀❀❀

(١) «**مفتاح دار السعادة**»: وجوه فضل العلم: الوجه الثالث والثلاثون، (١/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]، ولولا مزيَّةُ العلم والتعليم وشرفُهما كان صيدُ الكلب المعلَّم والجاهل سواءً.

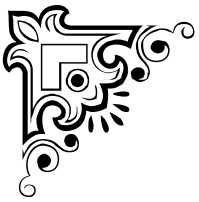

أَعْطُوا الْعِلْمَ بَعْضَ أَوْقَاتِكُمْ!

أَعْطُوا الْعِلْمَ بَعْضَ أَوْقَاتِكُمْ، بَعْضَ مَجْهُودِكُمْ، بَعْضَ حَيَاتِكُمْ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ وَأَشَدُّ ضَرُورَةً لَدَيْكُمْ مِنَ النَّفَسِ، «النَّاسُ يَحْتَاجُونَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَحْتَاجُونَ الْعِلْمَ بِعَدَدِ الْأَنْفَاسِ»(١)، بَلْ إِنَّ الْعِلْمَ أَشَدُّ ضَرُورَةً لِلْعَبْدِ مِنَ النَّفَسِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَقَدَ النَّفَسَ مَاتَ، وَرُبَّمَا خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَنِعْمَ الْقَرَارُ، وَأَمَّا إِذَا فَقَدَ الْعِلْمَ مَاتَ قَلْبُهُ، وَلَا شَكَّ أَنْ مَوْتَ الْقَلْبِ أَشَدُّ مِنْ مَوْتِ الْجَسَدِ بِمَا لَا يُقَاسُ.

---

(١) هذا القول مأثور عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ أخرجه حرب الكرماني في «**مسائله لأحمد**»: كتاب الآداب: باب العلم والحاجة إليه، (٢/ ٩٤٦، رقم ١٥٢٣)، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: «الناس يحتاجون إلىٰ العلم قبل الخبز والماء لأن العلم يحتاج إليه الإنسان في كل ساعة، والخبز والماء في اليوم مرة أو مرتين».

وذكرها عنه ابن أبي يعلىٰ في «**طبقات الحنابلة**»: (١/ ١٤٦)، وابن القيم في «**مفتاح دار السعادة**»: (١/ ١٦٤)، وابن مفلح في «**الآداب الشرعية**»: (٢/ ٤٢).

وبنحو هذا القول أُثر عن الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، أنه قال، «إِنَّ النَّاسَ لَيَحْتَاجُونَ إِلَىٰ هَذَا الْعِلْمِ فِي دِينِهِمْ، كَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي دُنْيَاهُمْ»، أخرجه الدارمي في مقدمة «**المسند**»: (١/ ٣٥٢-٣٥٣، رقم ٣٣٦)، بإسناد صحيح.

فَيَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ! فَرِّغُوا بَعْضَ أَوْقَاتِكُمْ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَا تُلْقُوا بِأَسْمَاعِكُمْ لِلْمُبْتَدِعَةِ الْمُنْحَرِفِينَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ جَلَسُوا عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْجَنَّةِ بِأَفْعَالِهِمْ.

نَسْأَلُ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَوْعِظَةُ الثَّامِنَةُ:

عِيشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ!

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

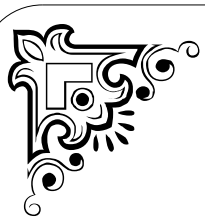

وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ، وَقَطَعَ عَنْهُمُ العُذْرَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الكُتُبِ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ كُلِّ قَوْمٍ رَسُولًا: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فَاطِر: ٢٤]؛ لِكَيْ لَا يَقُومَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ حُجَّةٌ، فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ!

وَخَتَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأُمَمَ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَخَتَمَ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ بِسَيِّدِهِمْ وَمُقَدَّمِهِمْ وَخَاتَمِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ كُلُّ رَسُولٍ يُرْسَلُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَأُرْسِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَعُمُومِ الْمَكَانِ، فَأَقَامَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ الحُجَّةَ، وَقَطَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ المَعْذِرَةَ.

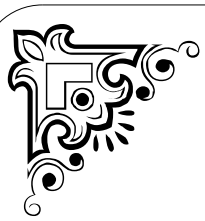

الْإِسْلَامُ مَحْفُوظٌ بِحِفْظِ اللهِ

لَمَّا كَانَتْ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ آخِرَ بَلَاغَاتِ السَّمَاءِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ؛ كَانَ حَتْمًا أَنْ تَكُونَ مَحْفُوظَةً قَائِمَةً دَائِمَةً إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

وَتَوَلَّىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حِفْظَ الْوَحْيِ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَسْتَحْفِظْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَكَانَتِ الْأُمَمُ قَبْلَنَا يُسْتَحْفَظُونَ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ، فَبَدَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ، وَزَادُوا فِيهِ وَنَقَصُوا مِنْهُ، فَتَوَلَّىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حِفْظَ الرِّسَالَةِ الخَاتِمَةِ، فَتَوَلَّىٰ حِفْظَ القُرْآنِ بِنَفْسِهِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ حِفْظَ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ هُوَ المُبَيَّنُ، وَلِأَنَّ السُّنَّةَ هِيَ المُبَيِّنُ، وَلَوْ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا حَفِظَ المُبَيَّنَ وَلَمْ يَحْفَظِ المُبَيِّنَ؛ لَأَحَالَنَا عَلَىٰ مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَهُ وَلَا أَنْ نَسْتَوعِبَ مَعَانِيَهُ.

يَعْنِي: إِذَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦]، وَقَالَ لَنَا: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]؛ فَهَذَا مُبَيَّنٌ تَأْتِي السُّنَّةُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُبَيِّنَهُ.

لَوْ حَفِظَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُبَيَّنَ وَلَمْ يَحْفَظْ لَنَا الْمُبَيِّنَ؛ فَإِنَّنَا -حِينَئِذٍ- نُحَالُ عَلَىٰ مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَهُ!!

فَنَقُولُ: إِذَا لَمْ يَحْفَظْ لَنَا السُّنَّةَ؛ كَيْفَ نُصَلِّي؟! وَكَيْفَ نُزَكِّي؟! وَكَيْفَ نَحُجُّ؟! وَكَيْفَ نَعْتَمِرُ؟! إِلَىٰ آخِرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ التَّكْلِيفَاتِ.

إِذَنْ؛ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجْر: ٩].

وَالذِّكْرُ هُوَ القُرْآنُ بِالقَصْدِ الْأَوَّلِ، وَيَشْمَلُ السُّنَّةَ -أَيْضًا- بِفَضْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ حَتْمًا لِإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ؛ مِنْ حِفْظِ الذِّكْرِ وَالوَحْيِ الذِي يُقِيمُ تِلْكَ الحُجَّةَ.

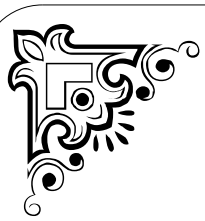

الوَحْيُ رُوحُ العَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ

الوَحْيُ هُوَ رُوحُ العَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ، وَإِذَا خَلَا العَالَمُ مِنَ الرُّوحِ وَالنُّورِ وَالحَيَاةِ؛ أَقَامَ اللهُ -تَعَالَىٰ- السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ يُرْفَعُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ وَمِنَ السُّطُورِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَذَلِكَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ.

وَحِينَئِذٍ -عِنْدَمَا يَخْلُو الْعَالَمُ مِنَ الْحَيَاةِ وَالنُّورِ وَمَادَّةِ هَذَا الوُجُودِ الحَقِّ- فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقِيمُ السَّاعَةَ.

إِذَنِ؛ الْوَحْيُ هُوَ نُورُ العَالَمِ وَحَيَاتُهُ وَهِدَايَتُهُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِ الْإِنْسَانِ بِهَذَا النُّورِ وَالحَيَاةِ وَالهُدَىٰ يَكُونُ تَحْقِيقُهُ لِلْقَصْدِ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَنَا لِغَايَةٍ، وَهَذِهِ الغَايَةُ مُبَيَّنَةٌ فِي الوَحْيِ المَعْصُومِ، وَإِذَا مَا عَاشَ النَّاسُ بِهَذَا الوَحْيِ؛ سَعِدُوا فِي الحَيَاةِ، وَتَجَنَّبُوا سُبُلَ الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَلَا حَيَاةَ لِهَذَا العَالَمِ إِلَّا بِأَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْوَحْيِ.

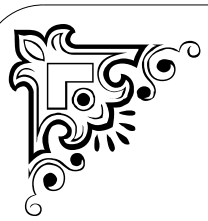

عِيشُوا بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ!

الشَّيْطَانُ فِي مَعْرَكَتِهِ مَعَ الْإِنْسَانِ حَرِيصٌ تَمَامَ الْحِرْصِ عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ عَائِشِينَ بِنَقِيضِ الوَحْيِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا وَحْيٌ وَإِمَّا نَقِيضُهُ، فَإِمَّا أَنْ تَحْيَا بِالْوَحْيِ، وَإِمَّا أَنْ تَحْيَا بِنَقِيضِ الْوَحْيِ.

أَمَّا مَنِ اتَّبَعَ الْوَحْيَ؛ فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَلِرَسُولِهِ، وَأَمَّا مَنْ فَارَقَ الْوَحْيَ؛ فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا وَحْيٌ، وَإِمَّا نَقِيضُ الوَحْيِ.

وَالَّذِي يُرِيدُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَّا هُوَ: «**أَنْ نَحْيَا بِالْوَحْيِ**»، وَهَذِهِ الجُمْلَةُ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ مَعْنَاهَا الصَّحِيحَ، وَجَعَلْتَهُ فِي حَيَاتِكَ نِبْرَاسًا وَمِنْهَاجًا، وَحَقَّقْتَهُ فِي ذَاتِكَ، وَفِي رُوحِكَ، وَفِي نَفْسِكَ، وَفِي جَسَدِكَ، وَفِي مَنْ حَوْلَكَ؛ هَذِهِ الجُمْلَةُ تُورِثُكَ السَّعَادَةَ دُنْيَا وَآخِرَةً، وَتُجَنِّبُكَ الشَّقَاءَ وَالتَّعَاسَةَ دُنْيَا وَآخِرَةً، وَهِيَ: «**عِشْ بِالْوَحْيِ**».. «**عِشْ بِالْوَحْيِ**».

يَقُولُ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَحُكَّ جِلْدَكَ بِظُفُرِكَ إِلَّا بِأَثَرٍ وَسُنَّةٍ فَافْعَلْ»(١).

---

(١) أخرجه الخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ١٤٢، رقم ١٧٤)، بإسناد صحيح.

مَعْنَىٰ هَذَا: أَنْ تَكُونَ عَائِشًا بِالوَحْيِ..

مَاذَا قَالَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟

وَمَاذَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذَا الشَّأْنِ؟

ثُمَّ تَتَّبِعُ ذَلِكَ، إِنْ جَانَبْتَهُ فَأَنْتَ عَائِشٌ بِنَقِيضِ الوَحْيِ.

النَّبِيُّ ﷺ أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِكُلِّ مَا يَنْفَعُنَا -يَأْمُرُنَا بِهِ- مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأُمُورِ الدِّينِ، وَأَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُحَذِّرًا وَمُنْذِرًا مِنَ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنَ اتِّخَاذِ سُبُلِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مَنْهَجًا وَطَرِيقًا وَسَبِيلًا.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ شَيءٍ مِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ.

قَدْ قِيلَ لِسَلْمَانَ -قَالَ لَهُ حَبْرٌ يَهُودِيٌّ-: عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ؛ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ!!».

يَعْنِي: حَتَّىٰ كَيْفَ يَقْضِي الْإِنْسَانُ حَاجَتَهُ.

فَقَالَ: «أَجَلْ؛ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ -أَيْ: عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ-، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ».

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَقْضِي الْإِنْسَانُ حَاجَتَهُ، أَفَيُبَيِّنُ هَذَا وَيَتْرُكُ مَا هُوَ فَوْقَهُ مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ، وَمِنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ، وَمِنْ أُمُورِ الْمُعَامَلَةِ، وَمِنْ أُمُورِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ؟!!

هَذَا مِمَّا لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ!!

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَكُلَّمَا اسْتَكْثَرَ المَرْءُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؛ زَادَ فَلَاحُهُ، وَقَلَّ طَلَاحُهُ، وَازْدَادَ خَيْرُهُ، وَانْتَفَىٰ شَرُّهُ.

وَهَذَا كَمَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَعَكْسُهُ عَلَىٰ عَكْسِهِ وَضِدِّهِ؛ كُلَّمَا ابْتَعَدَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ إِلَىٰ زِبَالَاتِ الْأَفْكَارِ، وَإِلَىٰ قِمَامَاتِ الْآرَاءِ، وَإِلَىٰ مَا يَأْخُذُ بِهِ النَّاسُ مِنْ مُوَاضَعَاتِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ مِمَّا تَرَبَّوْا عَلَيْهِ وَلَمْ يُرَاجِعُوهُ؛ لِأَنَّهُم لَمْ يَتَلَقَّوْهُ تَلَقِّيًا صَحِيحًا، وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا الدِّينَ تَعْلِيمًا مُنَظَّمًا، فَمَا عِنْدَهُمْ مَحْضُ تَشْوِيشٍ، يَأْخُذُ مِنْ هَاهُنَا عِبَارَةً وَمِنْ هَاهُنَا حُكْمًا، وَدِينُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَالجَسَدِ الحَيِّ.

جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ الْحَيِّ رَأْسًا وَجِذْعًا وَأَطْرَافًا، وَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَيْنَيْنِ مَوْضِعَهُمَا، وَلِلْأُذُنَيْنِ فِي الرَّأْسِ مَوْضِعَهُمَا، وَجَعَلَ الْإِنْسَانَ قَائِمًا عَلَىٰ طَرَفَيْهِ السُّفْلِيَّيْنِ، وَجَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ.

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَصَوَّرَ أَنَّهُ يُعِيدُ هَذَا التَّشْكِيلَ فِي كَائِنٍ إِنْسَانِيٍّ، فَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ فِي قَفَاهُ، وَيَجْعَلُ أُذُنَيْهِ فِي أَعْلَىٰ رَأْسِهِ، وَيَجْعَلُ طَرَفَيْهِ العُلْوِيَّيْنِ فِي مَكَانِ طَرَفَيْهِ السُّفْلِيَّيْنِ، وَبِالْعَكْسِ، لَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ؛ مَا تَحَصَّلَ عَلَىٰ كَائِنٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ أَدَاءً صَحِيحًا أَيَّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَمَعَاشُهُ.

فَكَمَا جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذَا الْإِنْسَانَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّسْوِيَةِ؛ خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ فَعَدَلَهُ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَهُ؛ كَذَلِكَ الشَّأْنُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

فِي الْإِسْلَامِ مَا هُوَ مِثْلُ القَلْبِ فِي الْإِنسَانِ، وَفِي الْإِسْلَامِ مَا هُوَ مِثْلُ الْمُخِّ فِي الْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ، وَمَا هُوَ مِثْلُ الْعَيْنَيْنِ، وَلِكُلِّ عُضْوٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فِي الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ قِيمَتُهُ وَوَظِيفَتُهُ، وَلَا يُقَدَّمُ عَلَىٰ مَا هُوَ فَوْقَهُ بِالْقِيمَةِ وَبِالْوَظِيفَةِ، فَمَثَلًا: لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَارَنَ الْعَيْنُ بِالظُّفُرِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَارِنَ الْإِنْسَانُ الْقَلْبَ بِالشَّعْرِ، فَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا مُقَارَنَةَ بَيْنَهَا، كَذَلِكَ فِي الدِّينِ.

النَّاسُ -أَحْيَانًا- يَتَمَسَّكُونَ بِمَا يُسَاوِي قُلَامَةَ الظُّفُرِ فِي الْإِنْسَانِ الْحَيِّ، وَيَتْرُكُونَ مَا يُوَازِي الْقَلْبَ، وَالرُّوحَ، وَالْعَقْلَ، وَالنَّفْسَ؛ لِأَنَّهُم يَخْلِطُونَ، وَهَذَا مَعِيبٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُم يَتَحَصَّلُونَ فِي النِّهَايَةِ عَلَىٰ إِسْلَامٍ مُشَوَّشٍ مُشَوَّهٍ، لَيْسَ هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ خَلْقِهِ.

فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْيَا بِقَلْبِهِ، وَالْقَلْبُ مَلِكُ هَذَا الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ، وَالْأَعْضَاءُ كُلُّهَا كَأَنَّمَا هِيَ مِنْ جُنُودِهِ تَأْتَمِرُ بِأَمْرِهِ؛ كَذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ وَحَقِيقَتُهُ: تَوْحِيدُ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

فَمَنْ لَمْ يُحَقِّقْ هَذَا، وَأَخَذَ بِمَا هُوَ دُونَهُ؛ فَهُوَ تَمَامًا كَالَّذِي يُقَدِّمُ الظُّفُرَ عَلَىٰ القَلْبِ، الشَّعْرَ عَلَىٰ المُخِّ وَالعَقْلِ!! فَهَذَا يَأْتِي بِشَيْءٍ مُشَوَّهٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَظِمَ مِنْهُ مَا يَنْفَعُهُ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةً.

لِذَلِكَ بَدَأَ كُلُّ نَبِيٍّ وَكُلُّ رَسُولٍ قَوْمَهُ بِأَنْ يَأْمُرَهُمْ بِأَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فَيَبْدَأُ بِهَذَا قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَرْسَلَ مُعَاذًا إِلَىٰ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ دِينَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَدْعُوَ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُم إِلَىٰ الدِّينِ الحَقِّ؛ قَالَ:

«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ-لَا تَبْدَأْ بِمَا هُوَ قَبْلَ هَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ-.

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ وَأَطَاعُوكَ فِيهِ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ.

قَالَ: **وَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٣٢٢، رقم ١٤٥٨) و(١٣/ ٣٤٧، رقم ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٥١، رقم ١٩)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ** ﷻ،...» الحديث.

وفي رواية لهما: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**،...»، وللبخاري: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**،...».

فِي الْحَدِيثِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ جِدًّا؛ وَلَكِنَّ الَّذِي نُرِيدُهُ هَاهُنَا -وَكُلُّ الْحَدِيثِ مُرَادٌ- هُوَ قَوْلُهُ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**».

وَ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» هِيَ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلِأَجْلِهَا قَامَتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ.

مِنْ أَجْلِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، مِنْ أَجْلِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» أَنْزَلَ اللهُ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ، مِنْ أَجْلِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» يُقِيمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ السَّاعَةَ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

مِنْ أَجْلِهَا يُضْرَبُ الصِّرَاطُ عَلَىٰ مَتْنِ -أَيْ: عَلَىٰ ظَهْرِ- النَّارِ، فَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَنَاجٍ يَطِيرُ طَيَرَانًا، وَنَاجٍ كَالْبَرْقِ، وَنَاجٍ كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَنَاجٍ يَعْدُو عَدْوًا، وَنَاجٍ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَحْبُو حَبْوًا، وَنُورُهُ فِي إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ تَحَرَّكَ، وَإِذَا مَا أُطْفِئَ وَقَفَ، وَالنَّارُ تَحْتَهُ.

وَعَلَىٰ جَانِبَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مِنْ حَدِيدٍ مَعْقُوفٍ -الكَلُّوبُ: هُوَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُنْشَلُ بِهَا اللَّحْمُ-، فَعَلَىٰ جَانِبَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ خَطْفًا عَلَىٰ حَسَبِ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهَذَّبُوا، وَأَنْ يُنَقَّوْا وَأَنْ يُطَهَّرُوا؛ لِأَنَّ الجَنَّةَ هِيَ دَارُ الطَّيِّبِ الْمَحْضِ، هِيَ دَارُ السَّلَامِ، هِيَ بَيْتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ، يَأْوِي إِلَيْهَا كُلُّ طَيِّبٍ، فَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الطَّيِّبُ الْمَحْضُ.

فَمَنْ خَلَّطَ؛ فَإِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتَخْلِيطِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهَذَّبَ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُصَفَّىٰ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُودَ طَيِّبًا مَحْضًا؛ لِيُجَاوِرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي جَنَّتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ حَتَّىٰ يَصِيرَ مُطَهَّرًا.

فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كُلِّهِ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الخَلْقَ، وَأَتَىٰ بِهَذَا كُلِّهِ مِنْ أَمْرِهِ وَخَلْقِهِ؛ مِنْ أَجْلِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَهِيَ أَوَّلُ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانَ يَدُورُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْأَسْوَاقِ وَفِي مُنْتَدَيَاتِهِمْ يَقُولُ لَهُم: «**أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. تُفْلِحُوا**»(١).

وَكَثِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ لَا يَعْلَمُ مَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَلَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِعِلْمِ مَعْنَاهَا، وَالعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، وَالْإِتْيَانِ بِشُرُوطِهَا، وَاجْتِنَابِ نَوَاقِضِهَا.

فَإِذَا كَانَ لَا يَعْلَمُ مَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ فَكَيْفَ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَىٰ مَا هُوَ بِهِ جَاهِلٌ؟!! وَكَيْفَ يُحَقِّقُ شُرُوطَ مَا لَا يَعْلَمُهُ؟!! وَكَيْفَ يَجْتَنِبُ نَوَاقِضَ شَيْءٍ لَا يَدْرِي عَنْهُ شَيْئًا؟!!

---

(١) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (٤/ ٦٣ و ٣٤١)، بإسناد صحيح، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، قَالَ:

سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاظٍ -وَفِي رِوَايَةٍ: فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ- يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. تُفْلِحُوا**»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَبُو لَهَبٍ.

والحديث جَوَّد إسناده الألباني في هامش «**صحيح السنة النبوية**»: (ص ١٤٢ - ١٤٣)، وله شاهد من رواية طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رضي الله عنه.

لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ مَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَصْرِفَ الْإِنْسَانُ كُلَّ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ لِلْقَلْبِ عِبَادَاتٍ؛ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْحُبِّ، وَالْخُشُوعِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْإِنَابَةِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِعِبَادَاتِ الْقُلُوبِ.

وَلِلِّسَانِ عِبادَاتُهُ؛ مِنَ الذِّكْرِ، وَالتِّلَاوَةِ، وَمَا أَشْبَهَ، كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَلِلْجَوَارِحِ -أَيْضًا- عِبَادَاتُهَا، فَإِذَا أَتَىٰ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ صَارِفَهُ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ خَلَقَهُ.. خَلَقَهُ وَحْدَهُ، لَمْ يُشَارِكْهُ أَحَدٌ فِي خَلْقِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَرْزُقُهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَكْلَؤُهُ وَيَحْفَظُهُ.

وَالْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ لَوْ أَنَّهُ كَانَ مُنْصِفًا؛ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَبَدًا وَلَا يَجْمُلُ أَنْ يُصْرَفَ شَيءٌ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرْضَىٰ مِنْ خَادِمِهِ فَضْلًا عَنْ عَبْدِهِ الَّذِي يَمْلِكُهُ، لَا يَرْضَىٰ الْإِنْسَانُ مِنْ أَجِيرٍ عِنْدَهُ أَنْ يَأْكُلَ خَيْرَهُ وَيَخْدُمَ غَيْرَهُ.

يَعْنِي: لَوْ أَنَّكَ اسْتَأْجَرْتَ إِنْسَانًا عَلَىٰ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْكَ عَمَلًا -مَنْفَعَةً- فِي نَظِيرِ أَجْرٍ، فَكَانَ أَجِيرًا عِنْدَكَ فِي عَمَلٍ بِذَاتِهِ لِقَاءَ مَا اتَّفَقْتُمَا عَلَيْهِ، فَأَخَذَ مِنْكَ الْمَالَ، وَأَخَذَ يَعْمَلُ لِغَيْرِكَ، ثُمَّ جَاءَ آخِرَ النَّهَارِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقُولَ لَكَ: قَدْ أَدَّيْتُهُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ أَخَذَ أَجْرَهُ فَهُوَ يُطَالِبُكَ بِأَجْرِهِ؛ أَنْتَ لَنْ تَقْبَلَ مِنْهُ ذَلِكَ!!

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَكَ، وَأَنْتَ تَرْضَىٰ لِرَبِّكَ مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ مِنْ أَجِيرِكَ وَمِنْ وَلَدِكَ!!

فَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ مِنْ وَلَدِكَ أَنْ يَأْكُلَ خُبْزَكَ وَيَعْصِيَ أَمْرَكَ، وَتَشْكُوهُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ، تَقُولُ: يَعْصِينِي، وَهُوَ وَلَدٌ عَاقٌّ لَا بِرَّ فِيهِ، وَأَنَا أُنْفِقُ، وَأَفْعَلُ وَأَفْعَلُ، وَأَكْلَأُ وَأَحْفَظُ، وَقَدْ رَبَّيْتُ وَكَبَّرْتُ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَسْمَعُهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنَا أَجْمَعِين إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

فَلَا تَقْبَلُ مِنْ وَلَدِكَ أَنْ يَأْكُلَ خُبْزَكَ وَيَعْصِيَ أَمْرَكَ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَكَ تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ جَادٌّ فِي مَعْصِيَةِ أَمْرِكَ وَالتَّمَرُّدِ عَلَيْكَ لَا يُطِيعُكَ.

فَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ وَمَا خَلَقْتَهُ، وَمَا أَنْتَ بِالَّذِي تَرْزُقُهُ، بَلِ الَّذِي يَرْزُقُكَ وَيَرْزُقُهُ هُوَ اللهُ، وَالَّذِي يَكْلَؤُكَ وَيَحْفَظُكَ وَيَكْلَؤُهُ وَيَحْفَظُهُ هُوَ اللهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ، وَتَرْضَىٰ ذَلِكَ مِنْكَ لِرَبِّكَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ!! وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُكَ!!

هَذَا عَيْبٌ كَبِيرٌ؛ بَلْ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ فِي شَيْءٍ، هَذَا أَمْرٌ هُوَ شِرْكٌ مَحْضٌ؛ أَنْ يَصْرِفَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَلْوَانِ الطَّاعَةِ لِغَيْرِ اللهِ.

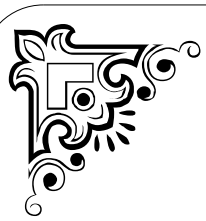

نَفْيُ الْحَرَجِ هِيَ قَاعِدَةُ الدِّينِ الْعُظْمَى

مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِنَا: أَنْ جَعَلَ الدِّينَ مُيَسَّرًا، فَقَاعِدَةُ الدِّينِ الْعُظْمَىٰ: هِيَ نَفْيُ الْحَرَجِ.

رَفَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْحَرَجَ وَالْمَشَقَّةَ عَنْ هَذَا الدِّينِ، وَكُلَّمَا وُجِدَتِ الضَّرُورَةُ جَاءَ التَّخْفِيفُ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مُسَافِرًا، أَوْ كَانَ مَرِيضًا؛ فَإِنَّهُ لَا يُطَالَبُ بِالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا يُفْطِرُ عَلَىٰ أَنْ يَقْضِيَ فِيمَا بَعْدُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ التَّيْسِيرَاتِ فِي هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَشْرُفُ الْمَرْءُ غَايَةَ الشَّرَفِ بِأَنْ يَكُونَ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ، وَمَا أَخَذَ ذَلِكَ بِمَلْكِهِ، وَإِنَّمَا الْهَادِي هُوَ اللهُ، وَالْمُوَفِّقُ هُوَ اللهُ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُفَهِّمَنَا دِينَنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا مَعْرِفَةَ حَقِيقَتِهِ، وَأَنْ يُمَسِّكَنَا بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يَهْدِيَنَا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِلَىٰ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَوْعِظَةُ التَّاسِعَةُ:

الْمُؤْمِنُ لَا يَخُونُ!!

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

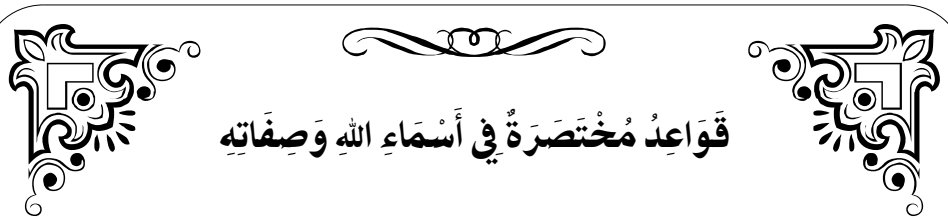

قَوَاعِدُ مُخْتَصَرَةٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ، وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ تَوْقِيفِيَّةٌ، بِمَعْنَىٰ أَنَّنَا لَا نُثْبِتُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِلَّا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ.

وَصِفَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قِسْمَانِ: ذَاتِيَّةٌ، وَفِعْلِيَّةٌ.

فَالصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ الَّتِي لَمْ يَزَلِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُتَّصِفًا بِهَا أَزَلًا وَأَبَدًا.

وَأَمَّا الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ: فَهِيَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ، إِذَا شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَعَلَ، وَإِذَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْ.

وَصِفَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْفِعْلِيَّةُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ قِسْمَانِ:

مِنْهَا قِسْمٌ مَعْلُومُ السَّبَبِ؛ كَالرِّضَا وَالْغَضَبِ، فَإِنَّ لِرِضَا رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَغَضَبِهِ أَسْبَابًا.

وَمِنْهَا قِسْمٌ لَا يُعْلَمُ لَهُ سَبَبٌ؛ كَصِفَةِ النُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يُعْلَمُ لَهُ سَبَبٌ؛ وَلَكِنَّهُ ثَابِتٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ -سُبْحَانَهُ-.

مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: صِفَةُ الْكَيْدِ، وَصِفَةُ الْمَكْرِ، وَصِفَةُ الْمِحَالِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ قَرِيبَةٌ فِي الْمَعْنَىٰ، فَالْمَكْرُ وَالْكَيْدُ وَالْمِحَالُ هُوَ التَّوَصُّلُ بِأَسْبَابٍ خَفِيَّةٍ إِلَىٰ التَّغَلُّبِ عَلَىٰ الْخَصْمِ، فَالْكَيْدُ وَالْمَكْرُ وَالْمِحَالُ: اسْتِخْدَامُ أَسْبَابٍ خَفِيَّةٍ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ التَّغَلُّبِ عَلَىٰ الْخَصْمِ.

وَهَذِهِ الصِّفَاتُ تَكُونُ مَحْمُودَةً وَتَكُونُ مَذْمُومَةً، فَإِذَا كَانَ الْكَيْدُ لِإِبْطَالِ كَيْدِ الْخَصْمِ، وَإِذَا كَانَ الْمَكْرُ لِإِبْطَالِ مَكْرِهِ وَالتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْمِحَالُ؛ فَهِيَ مَحْمُودَةٌ، وَتَكُونُ مَذْمُومَةً فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

هَذِهِ الصِّفَاتُ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ الْخِيَانَةِ، الْخِيَانَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَذْمُومَةً؛ لِأَنَّهَا غَدْرٌ فِي مَوْطِنِ الِائْتِمَانِ، تُؤْتَمَنُ عَلَىٰ شَيْءٍ ثُمَّ لَا تَكُونُ فِيهِ أَمِينًا، فَلَا تَكُونُ الْخِيَانَةُ إِلَّا مَذْمُومَةً؛ لِذَلِكَ لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْكَيْدَ وَالْمَكْرَ وَالْمِحَالَ أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥]، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

فَأَثْبَتَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ.

وَأَمَّا الْخِيَانَةُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُثْبِتُهَا لِنَفْسِهِ أَبَدًا؛ لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَذْمُومَةً ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنفال: ٧١]، وَلَمْ يَقُلْ: فَإِنَّ اللهَ يَخُونُهُمْ، كَمَا قَابَلَ مَكْرَهُمْ بِالْمَكْرِ، وَمِحَالَهُمْ بِالْمِحَالِ، وَكَيْدَهُمْ بِالْكَيْدِ؛ فَالْخِيَانَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَذْمُومَةً.

❀❀❀

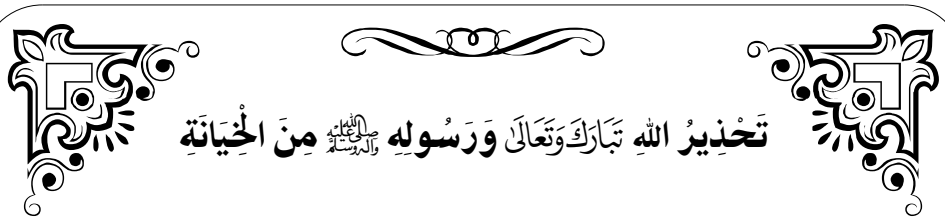

تَحْذِيرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْخِيَانَةِ

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَكَانَ يَقُولُ -كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ-: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**»(١).

فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَسْتَعِيذُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْخِيَانَةِ، وَأَخْبَرَ «**أَنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَمَانَةُ**»(٢).

وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ «**يُوشِكُ أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ** -يَعْنِي: الَّذِي فِيهِ مِنَ الْأَعْدَادِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ جَلَّ وَعَلَا- **أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَلَا يَجِدُ أَمِينًا**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٢/ ٩١، رقم ١٥٤٧)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٨/ ٢٦٣)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ١١١٣، رقم ٣٣٥٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ١٥٥، رقم ٣٠٠٢).

(٢) عزاه السيوطي في «**الجامع الصغير**» مع تصحيح الألباني: (١/ ٥٠٣، رقم ٢٥٧٥)، والمتقي الهندي في «**كنز العمال**»: (٣/ ٦١، رقم ٥٤٩٥) إلىٰ الحكيم الترمذي.
والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الجامع**»: (١/ ٥٠٣، رقم ٢٥٧٥).

(٣) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (١١/ ٣٣٣، رقم ٦٤٩٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ١٢٦، رقم ١٤٣)، من حديث: حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:
=

وَإِنَّهُ مِنْ عِزَّةِ الْأَمَانَةِ يَقُولُ الْقَائِلُ: «**إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا**»(١)؛ لِكَثْرَةِ الْخِيَانَةِ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحَذِّرُنَا مِنَ الْخِيَانَةِ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ**﴾ [الأنفال: ٢٧].

وَخِيَانَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَالرَّسُولِ بِعَدَمِ تَصْدِيقِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ بِالشَّكِّ فِيهِ، أَوْ عَدَمِ أَدَائِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَالْخِيَانَةُ تَقَعُ فِي الْعِبَادَاتِ، تَقَعُ فِي الْوُضُوءِ، الَّذِي لَا يَتَوَضَّأُ وُضُوءًا حَسَنًا صَحِيحًا خَانَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْوُضُوءِ، وَالَّذِي لَا يُصَلِّي صَلَاةً صَحِيحَةً فَإِنَّهُ يَخُونُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الصَّلَاةِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعِبَادَاتِ.

﴿**وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٧].

❀❀❀

=

«**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَىٰ أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَىٰ رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا،...**».

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١١/ ٣٣٣، رقم ٦٤٩٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ١٢٦-١٢٧، رقم ١٤٣).

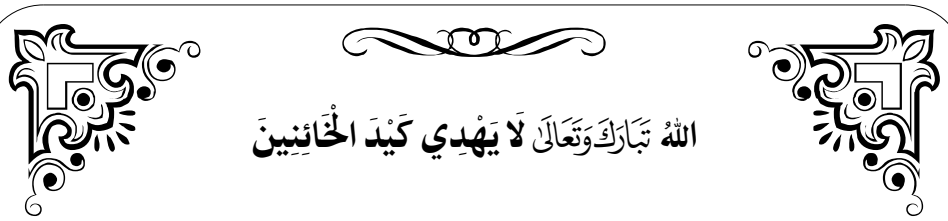

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ

لَمَّا سُجِنَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَبَبِ كَيْدِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَالنِّسْوَةِ، وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ، ثُمَّ رَأَىٰ غُلَامُ الْمَلِكِ الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا الْمَلِكُ فَقَصَّهَا عَلَىٰ يُوسُفَ، فَأَوَّلَهَا يُوسُفُ وَفَسَّرَهَا، وَرَجَعَ بِالتَّأْوِيلِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْمَلِكِ؛ طَلَبَ الْمَلِكُ يُوسُفَ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ السِّجْنِ فَرَفَضَ، رَفَضَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ حَتَّىٰ يُحَقَّقَ فِيمَا اتُّهِمَ بِهِ، وَحَتَّىٰ تَثْبُتَ بَرَاءَتُهُ، أَمَّا أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ وَتَبْقَىٰ التُّهْمَةُ مُعَلَّقَةً مِنْ غَيْرِ بَرَاءَةٍ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَحْسُنُ.

﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

جَمَعَ الْمَلِكُ النِّسْوَةَ وَمَعَهُنَّ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، ثُمَّ سَأَلَهُنَّ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥١-٥٢].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: مَنِ الَّذِي يَعْلَمُ؟!!

لِلْعُلَمَاءِ فِيهَا قَوْلَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: لِيَعْلَمَ زَوْجُهَا أَنَّهَا لَمَّا اعْتَرَفَتْ بِالْمُرَاوَدَةِ لَمْ يَصِلْ بِهَا ذَلِكَ إِلَىٰ حَدِّ تَدْنِيسِ فِرَاشِهِ، وَإِنَّمَا وَقَفَ الْأَمْرُ عِنْدَ حَدِّ مُرَاوَدَةِ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ عليه السلام، ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، فَهَذَا قَوْلٌ: لِيَعْلَمَ زَوْجُهَا.

وَقَوْلٌ ثَانٍ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ: لِيَعْلَمَ يُوسُفُ أَنَّهَا لَمْ تَخُنْهُ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

❀❀❀

الْمُؤْمِنُ لَا يَخُونُ!

كَيْدُ الْخَائِنِ لَا يَعُودُ إِلَّا عَلَيْهِ، اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَجْعَلُ كَيْدَ الْخَائِنِ عَائِدًا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ كَمَا أَثْبَتَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ.

اللهُ ﷻ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ أَثِيمٍ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ، فَالْمُسْلِمُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَائِنًا أَبَدًا، الْمُنَافِقُ هُوَ الَّذِي يَخُونُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١).

وكذلك يقول النبي ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٢).

فَذَكَرَ هَذِهِ الْخَصْلَةَ فِي الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الثَّلَاثِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الْمُنَافِقِ، لَا تَأْتِي مِنَ الْمُؤْمِنِ، الْمُؤْمِنُ لَا يَخُونُ؛ حَتَّىٰ إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ٨٩، رقم ٣٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٧٨، رقم ٥٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ٨٩، رقم ٣٤)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٧٨، رقم ٥٨)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما.
وفي رواية لهما: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» بدلا من «إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

الْعَرَبَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَفِي حَالِ كُفْرِهِمْ كَانُوا لَا يَخُونُونَ، أَمَّا أَنْ تَسْتَشْرِيَ الْخِيَانَةُ فِي النَّاسِ مَعَ انْتِسَابِهِمْ إِلَىٰ الدِّينِ الْعَظِيمِ؛ دِينِ الْفَضِيلَةِ، دِينِ الشَّرَفِ، دِينِ الْمُرُوءَةِ، دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُحَذِّرُ مِنْ هَذِهِ الْخَصْلَةِ تَحْذِيرًا شَدِيدًا؛ لِأَنَّهَا إِذَا وُجِدَتْ فِي الْإِنْسَانِ أَفْسَدَتْ نَفْسِيَّتَهُ، أَفْسَدَتْ رُوحَهُ، جَعَلَتْ رُوحَهُ كَأَنَّمَا الْتَقَمَهَا الشَّيْطَانُ، كَأَنَّمَا صَارَتْ لِلشَّيْطَانِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَمَّا صَاحِبُ الْمُرُوءَةِ فَإِنَّهُ لَا يَخُونُ.. كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ!

يَقُولُ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ فِي اعْتِذَارِهِ لِلْمَلِكِ النُّعْمَانِ، يَقُولُ: إِنَّهُ أَتَاهُ عَارِيًا خَلِقًا ثِيَابُهُ..

وَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ أَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ رَجُلٌ كَافِرٌ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ؛ وَلَكِنَّهُ يَتَمَدَّحُ بِأَنَّهُ وَفِيٌّ، وَأَنَّهُ لَا يَخُونُ!!

وَكَذَلِكَ كَانَ السَّمَوْأَلُ بْنُ عَادِيَاءَ -مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا- لَمَّا أَوْدَعَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ أَدْرُعَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَذَهَبَ لِيَأْخُذَ بِثْأَرِ أَبِيهِ، وَجَاءَ أَعْدَاءُ امْرِءِ الْقَيْسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْخُذُوا مَتَاعَ امْرِءِ الْقَيْسِ مِنَ السَّمَوْأَلِ، وَحَاصَرُوا الْحِصْنَ، وَأَخَذُوا وَلَدَ السَّمَوْأَلِ، وَهَدَّدُوهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ، إِمَّا أَنْ تَدْفَعَ لَنَا أَمَانَةَ امْرِءِ الْقَيْسِ الَّتِي عِنْدَكَ، وَإِمَّا أَنْ نَذْبَحَ وَلَدَكَ، فَأَبَىٰ أَنْ يَخُونَ الْأَمَانَةَ، فَذَبَحُوا وَلَدَهُ تَحْتَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ؛ لِيُحَافِظَ عَلَىٰ الْأَمَانَةِ؛ حَتَّىٰ يَأْتِيَ مَنِ

ائْتَمَنَهُ لِيُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ إِلَيْهِ، لِذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ فِي أَمْثَالِهَا: أَوْفَىٰ مِنَ السَّمَوْأَلِ.. فُلَانٌ أَوْفَىٰ مِنَ السَّمَوْأَلِ، يُرِيدُونَ مَدْحَهُ بِأَنَّهُ وَفِيٌّ، وَأَنَّهُ لَا يَخُونُ؛ لِأَنَّ الْخِيَانَةَ لَا تَتَأَتَّىٰ مِنْ نَفْسٍ سَوِيَّةٍ، وَإِنَّمَا تَأْتِي الْخِيَانَاتُ مِنَ النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ الَّتِي الْتَهَمَهَا الشَّيْطَانُ، الَّتِي دُنِّسَتْ وَتَوَسَّخَتْ وَلَمْ تَعُدْ نَظِيفَةً، وَلَمْ تَعُدْ مُسْتَقِيمَةً.. الْمُؤْمِنُ لَا يَخُونُ!!

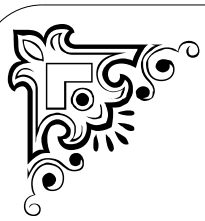

زَمَانُ الْخِيَانَةِ وَأَسْبَابُ الْعِزَّةِ وَالسَّعَادَةِ

النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيذُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُ «**سَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يُصَدَّقُ فِيهِ الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهِ الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهِ الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهِ الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهِ الرُّوَيْبِضَةُ**».

قَالُوا: «وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»(١).

«**سَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ**»، وَلَمْ يَقُلْ: سَنَوَاتٌ خَادِعَاتٌ، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ مِنِ اسْمِ الْفَاعِلِ، «سَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ»؛ شَدِيدَةُ الْخِدَاعِ، تَنْقَلِبُ فِيهَا الْمَوَازِينُ، وَتَنْعَكِسُ فِيهَا الْمَعَايِيرُ، وَتُصْبِحُ النَّظْرَةُ غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ، وَالْأَحْوَالُ عَقِيمَةً، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ الَّتِي لَا تُخْطِئُهَا عَيْنٌ: «أَنَّهُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ».

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: كِتَابُ الْفِتَنِ: بَابُ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْبَلَاءِ، (٤٠٣٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وحسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**» (٤/ ٥٠٨، رقم ١٨٨٧).

قَالُوا: «وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَةِ الْكَيْدِ وَبِصِفَةِ الْمَكْرِ وَبِصِفَةِ الْمِحَالِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ: التَّوَصُّلُ بِالْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ لِلتَّغَلُّبِ عَلَىٰ الْخَصْمِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ التَّغَلُّبِ عَلَىٰ الْخَصْمِ الْمُبْطِلِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ مُقَابَلَةِ الْمَكْرِ بِالْمَكْرِ وَالْمِحَالِ بِالْمِحَالِ فَهَذَا مَحْمُودٌ، وَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ مَذْمُومٌ.

فَهَذِهِ صِفَاتٌ يُوصَفُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ مَا كَانَ مَحْمُودًا، وَلِذَلِكَ لَمَّا وَصَفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ جَعَلَهُ عَلَىٰ الصِّيغَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا حَسَنَةً، قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَلَمْ يَقُلْ: وَاللهُ أَمْكَرُ الْمَاكِرِينَ.. لَا؛ لِأَنَّ الْمَكْرَ مِنْهُ مَا هُوَ مَحْمُودٌ وَمِنْهُ مَا هُوَ مَذْمُومٌ، لِذَلِكَ قَالَ: لَا يَكُونُ مَكْرُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا خَيْرًا.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وَالنَّبِيُّ ﷺ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِمَّا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: «**أَنَّهُ سَيَأْتِي أَقْوَامٌ** -بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ **أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ، وَالْقَرْنُ الَّذِي يَلِيهِ، وَالْقَرْنُ الَّذِي يَلِيهِ،** يَقُولُ رَاوِي الْحَدِيثِ: فَلَا أَدْرِي قَالَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ-: **ثُمَّ يَأْتِي**

أَقْوَامٌ يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(١).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَصْفِ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، يَكْذِبُونَ وَلَا يَصْدُقُونَ، يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَتْ لَهُمْ هِمَّةٌ، أَصْبَحُوا لَاطِئِينَ بِالْأَرْضِ لَا هِمَّةَ لَهُمْ، فَيَأْكُلُونَ وَيَسْمَنُونَ، وَلَا يَتَطَلَّعُونَ إِلَىٰ الْمَعَالِي، وَالْهَمُّ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً، وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ.

هَمُّ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ الْمَعَالِي، وَالتَّطَلُّعِ إِلَىٰ مَا فَوْقَ أَحْوَالِ النَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا مُتَفَرِّدًا فِي دِينِهِ، مُتَفَرِّدًا بِعَقِيدَتِهِ، مُتَفَرِّدًا بِإِسْلَامِهِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ مُحَقِّقًا لِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي أَرْضِهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ الْهَمَّ يُذِيبُ شَحْمَهُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ؛ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ إِلَّا لِمَامًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ قَامَ حَتَّىٰ تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ: بَابٌ لَا يَشْهَدُ عَلَىٰ شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ، (٢٦٥١)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ: بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ...، (٢٥٣٥)، من حديث: عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(١).

جَاءَتِ الْهُمُومُ.. هُمُومُ الدَّعْوَةِ، وَتَبْلِيغُ الدِّينِ لِخَلْقِ اللهِ فِي أَرْضِ اللهِ؛ لِإِقَامَةِ شَرْعِهِ، وَإِعْلَاءِ رَايَةِ دِينِهِ، وَتَطْبِيقِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ؛ لِيَسْعَدَ بِهِ الْخَلْقُ؛ لِأَنَّ الشَّقَاءَ لَا يُوجَدُ فِي مَكَانٍ إِلَّا بِسَبَبِ الْبُعْدِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَمَهْمَا وَجَدْتَ مِنَ اسْتِقَامَةٍ لِلْأُمُورِ، وَاعْتِدَالٍ لِلْأَحْوَالِ، وَسَعَادَةٍ فِي النُّفُوسِ فِي مَكَانٍ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ التَّمَسُّكِ بِدِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَمَهْمَا وَجَدْتَ الشُّرُورَ فِي مَكَانٍ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْمُجْتَمَعِ ظَاهِرًا فَقَطْ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْأَفْرَادِ أَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب التفسير: سورة الفتح: باب ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، (٤٨٣٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب صفة القيامة: باب إكثار الأعمال..، (٢٨٢٠)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) ذكره البخاري معلقا في «**الصحيح**»: (٦/ ٩٨)، وأخرجه موصولا أبو داود في «**السنن**»: (٤/ ٤٤، رقم ٤٠٣١) مختصرا، وأحمد في «**المسند**»: (٢/ ٥٠ و ٩٢)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (٥/ ٣١٣)، وعبد بن حميد كما في المنتخب من «**المسند**»: (ص ٢٦٧، رقم ٨٤٨)، والطحاوي في «**شرح المشكل**»: (١/ ٢١٣، رقم ٢٣١)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ١٠٩-١١١، رقم ١٢٦٩)، وله شاهد عن طاووس مرسلا، بنحوه.

فَكُلُّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ فَلَهُ مِنَ الذُّلِّ وَلَهُ مِنَ الصَّغَارِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مُخَالَفَتِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

الْعِزَّةُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلِرَسُولِهِ الْأَمِينِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَهُؤَلَاءِ لَهُمُ الْعِزَّةُ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَرْفَعُهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِدِينِهِ دُنْيَا وَآخِرَةً.

وَأَمَّا أَعْرَاضُ الْحَيَاةِ؛ فَمَهْمَا كَثُرَتْ وَعَظُمَتْ فَإِنَّهَا لَا تَرْفَعُ وَضِيعًا، وَلَا تُعِزُّ ذَلِيلًا، وَإِنَّمَا هِيَ وَضَاعَةٌ فَوْقَ الْوَضَاعَةِ، وَمَذَلَّةٌ فَوْقَ الْمَذَلَّةِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنَا جَمِيعًا لِلْحَقِّ وَإِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَوْعِظَةُ الْعَاشِرَةُ:

سَرِيرَةُ السُّوءِ!

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّهُ لَا يَجْزِمُ أَحَدٌ بِقَبُولِ عَمَلٍ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ حَتَّىٰ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يُدْخِلُ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**».

قَالُوا: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ**»(١).

فَمَا قَبِلَهُ اللهُ مِنَ الْعَمَلِ فَهُوَ الْمَقْبُولُ، وَمَا رَدَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ الْمَرْدُودُ، هَذَا الْمَرْدُودُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، كَمَا يَأْتِي الْإِنْسَانُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ أَثْنَاءَ الْعَمَلِ، كَمَا لَوْ أَتَىٰ بِمُفْسِدٍ أَوْ مُبْطِلٍ لِلصَّلَاةِ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَهُ تَكُونُ بَاطِلَةً، وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْنِفَ الصَّلَاةَ، فَيَكُونُ الْعَمَلُ بَاطِلًا غَيْرَ مَقْبُولٍ، وَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَمَلُ غَيْرَ مَقْبُولٍ وَيُحَاسَبُ الْمَرْءُ عَلَيْهِ، فَالرَّدُّ إِمَّا أَنْ يُحَاسَبَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَإِمَّا أَلَا يُحَاسَبَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ.

جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غَيْبًا لَا يَعْلَمُهُ فِي الْقَبُولِ وَالرَّدِّ إِلَّا هُوَ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟

قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣١٧٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (٤١٩٨).

=

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خَائِفَةٌ مُضْطَرِبَةٌ ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾، فَيَفْحَصُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَيُبْدِي مَا فِي السَّرَائِرِ مِمَّا هُوَ مُغَيَّبٌ فِي الضَّمَائِرِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، فَكَشْفُ مَا فِي السَّرَائِرِ، وَإِبْدَاءُ مَا فِي الْقُلُوبِ.. إِنَّمَا يَكُونُ لَدَىٰ عَلَّامِ الْغُيُوبِ وَسِتِّيرِ الْعُيُوبِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا يَوْمَ الدِّينِ؛ وَعَلَيْهِ: فَمَهْمَا عَمِلَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْزِمَ بِقَبُولِهِ عِنْدَ رَبِّهِ.

أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ الْفَارُوقَ رضي الله عنه -وَهُوَ وَزِيرُهُ الثَّانِي بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَبَشَّرَهُ بِالشَّهَادَةِ رضي الله عنه، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مُوَافِقًا لِقَوْلِهِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ(١)، وَأَخْبَرَ

=

والحديث صححه لغيره الألباني في «**الصحيحة**» (١٦٢)، وقال: «والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، وإنما السر: أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله ﷻ، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها علىٰ مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم.

فليتأمل المؤمن هذا عسىٰ أن يزداد حرصا علىٰ إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه ﷺ في هديه فيها. وذلك معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]».

(١) يشير إلىٰ حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ نِسَائِهِ،

=

الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدَهُ؛ لَكَانَ عُمَرَ(١)، وَأَنَّهُ مَا سَلَكَ عُمَرُ فَجًّا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا غَيْرَهُ-(٢)؛ وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ حُذَيْفَةَ بِأَسْمَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَلَمْ يُبْدِهَا، فَلَمْ يَعْلَمْهَا إِلَّا حُذَيْفَةُ.

الَّذِي يُبْطِنُ الْكُفْرَ وَيُظْهِرُ الْإِسْلَامَ، يُسِرُّ سَرِيرَةَ السُّوءِ، وَيُبْدِي مَظْهَرَ الْخَيْرِ؛ هَذَا نِفَاقٌ، وَالْمُنَافِقُونَ عَلَىٰ عَهْدِ الرَّسُولِ كَانُوا مُنَافِقِينَ نِفَاقًا أَكْبَرَ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، فَأَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِأَسْمَاءِ مَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ بِأَسْمَائِهِمْ.. أَخْبَرَ حُذَيْفَةَ صَاحِبَ السِّرِّ، عَلَىٰ أَلَّا يُخْبِرَ حُذَيْفَةُ أَحَدًا بِمَا أَسَرَّ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَسْمَائِهِمْ، غَيْرَ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه جَاءَ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ: «نَاشَدْتُكَ اللهَ يَا حُذَيْفَةُ! أَذَكَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِيمَنْ ذَكَرَ -يَعْنِي: مِنَ الْمُنَافِقِينَ-؟!».

عُمَرُ!!

=

فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ، قُلْتُ: إِنِ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ خَيْرًا مِنْكُنَّ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ إِحْدَىٰ نِسَائِهِ، قَالَتْ: يَا عُمَرُ، أَمَا فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ، حَتَّىٰ تَعِظَهُنَّ أَنْتَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] الآيَةَ».

أخرجه البخاري (٤٠٢ و٤٤٨٣)، ومسلم (٢٣٩٩)، إلا أن -عند مسلم- قوله: «...، وَفِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ» بدلا من معاتبة النبي ﷺ لبعض نسائه.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩ و٣٦٨٩) إلا أن لفظه: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ**»، وفي رواية: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ، يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ،...**».

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦)، من حديث: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

يَقُولُ: «أَذَكَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِيمَنْ ذَكَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ؟!!».

يَخْشَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ النِّفَاقَ؛ لِأَنَّهُ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: «وَاللهِ! مَا أَمِنَ النِّفَاقَ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَلَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ»(١).

فَقَالَ الْفُارُوقُ لِحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَذَكَرَنِي النَّبِيُّ فِيمَنْ ذَكَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ؟».

قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا، أَمَا إِذْ نَاشَدْتَنِي -يَعْنِي: حَلَّفْتَنِي-؛ فَاللَّهُمَّ لَا -لَمْ يَذْكُرْكَ-، وَلَا أُزَكِّي بَعْدَكَ أَحَدًا»(٢).

---

(١) ذكره البخاري معلقا: كِتَابُ الإِيمَانِ: بَابُ خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وأخرجه موصولا: المروزي في «**تعظيم قدر الصلاة**»: (٦٨٧)، والفريابي في «**صفة النفاق**»: (٨١ و ٨٢)، والخلال في «**السنة**»: (١٦٥٣ و ١٦٥٦)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٨٣٣)، وابن بطة في «**الإبانة الكبرىٰ**»: (١٠٥٧ و ١٠٥٨)، وابن حجر في «**تغليق التعليق**»: (٢/ ٥٣ و ٥٤)، بإسناد صحيح، عن الحسن أنه كان يحلف بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: «مَا مَضَىٰ مُؤْمِنٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ مِنَ النِّفَاقِ مُشْفِقٌ وَلَا مَضَىٰ مُنَافِقٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ مِنَ النِّفَاقِ آمِنٌ»، وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَخَفِ النِّفَاقَ فَهُوَ مُنَافِقٌ».
وفي رواية: «وَاللهِ، مَا أَصْبَحَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ وَلَا أَمْسَىٰ عَلَىٰ وَجْهِهَا مُؤْمِنٌ، إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَا آمنَ النِّفَاقَ إِلَّا مُنَافِقٌ»، وفي أخرىٰ: «وَاللهِ مَا مَضَىٰ مُؤْمِنٌ وَلَا تَقِيٌّ إِلَّا يَخَافُ النِّفَاقَ، وَمَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ».

(٢) أخرجه وكيع في «**الزهد**»: (٤٧٧)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٥/ ١٠٧)، والفسوي في «**المعرفة والتاريخ**»: (٢/ ٧٦٩)، والبزار في «**المسند**»: (٢٨٨٥)، وابن جرير الطبري في «**جامع البيان**»: (١١/ ١١)، والخلال في «**السنة**»: (١٢٨٨)، والخرائطي في «**مساوئ الأخلاق**»: (٢٩٧)، بإسناد صحيح.

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم كَانُوا يَعْمَلُونَ الْخَيْرَاتِ، وَيَتْرُكُونَ الْمُنْكَرَاتِ، وَيَخْشَوْنَ أَلَّا يَقْبَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُمْ.

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَمَّا كَانَ فِي النَّزْعِ.. فِي السِّيَاقِ.. فِي الْمَوْتِ يَقُولُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تِبْنَةً، وَلَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا!!»(١).

الصِّدِّيقُ!! صِدِّيقُ الْأُمَّةِ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، لَا يَتَقَدَّمُ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدٌ عَلَيْهِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَعْرَةً فِي جَنْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ!!»(٢)؛ لِأَنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ، وَلِأَنَّ أَهْوَاءَ النَّفْسِ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ فِي الْقُلُوبِ مُتَجَذِّرَةٌ، وَفِي الْأَرْوَاحِ مُتَشَعِّبَةٌ.

وَالْمَرْءُ قَدْ يَغْفُلُ، وَالْمَرْءُ قَدْ يَنْسَىٰ، وَالْمَرْءُ قَدْ يُخْطِئُ، وَقَدْ عَفَا اللهُ عَنِ الْخَطَأِ، وَعَنِ النِّسْيَانِ، وَعَمَّا اسْتُكْرِهَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؛ وَلَكِنَّ الْمَرْءَ رُبَّمَا أَتَىٰ بِسَرِيرَةِ السُّوءِ يَحْسَبُهَا فِي الْعَلَانِيَةِ خَيْرًا، تَرُوجُ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَلَا تَرُوجُ عِنْدَ اللهِ.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» رواية الحسين المروزي: (٢٣٤)، وابن سعد في «**الطبقات الكبرىٰ**»: (٣/ ٣٦٠-٣٦١)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٣/ ٢٧٥)، وابن أبي الدنيا في «**المتمنيين**»: (١٢)، وابن أبي زمنين في «**التفسير**»: (٥/ ٦٩)، بإسناد صحيح، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَخَذَ تِبْنَةً مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: «يَا لَيْتَنِي هَذِهِ التِّبْنَةُ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا».
وفي رواية -عند ابن أبي زمنين-: عن عبد الله بن عامر، عن أبيه، والأول أشبه، قاله الدارقطني في «**العلل**»: (٣١٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في «**الزهد**»: (٥٦٠)، بإسناد لا بأس به، عن أبي عِمْرَانَ عبد الملك بن حبيب الْجَوْنِيّ، عن أبي بكر، مرسلا.

فَالْمَرْءُ لَا يَأْمَنُ إِذَا عَمِلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ؛ لِذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢]، فَنَصَّ عَلَىٰ خَلْقِ الْمَوْتِ كَمَا نَصَّ عَلَىٰ خَلْقِ الْحَيَاةِ، فَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ؛ حَتَّىٰ قَبْلَ أَنْ يُشَكِّلَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي جَسَدٍ مَادِّيٍّ، فِي كَبْشٍ يُذْبَحُ، إِذَا مَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ عَلَىٰ هَيْئَةِ كَبْشٍ أَقْرَنَ، لَهُ قَرْنَانِ عَظِيمَانِ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَيُقَالُ: «**يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ**»(١).

فَالْمَوْتُ يُذْبَحُ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وَلَمْ يَقُلْ: أَيُّكُمْ أَكْثَرُ عَمَلًا، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: لِيَخْتَبِرَكُمْ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فِي تَصْفِيَةِ الْعَمَلِ مِنْ شَوَائِبِهِ، وَمِمَّا يُحْبِطُهُ، وَمِمَّا يَجْعَلُهُ مَرْدُودًا عَلَىٰ الْعَبْدِ حَابِطًا؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ لَيْسَتْ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ، وَلَكِنَّ الْعِبْرَةَ بِتَصْفِيَةِ الْأَعْمَالِ مِمَّا يُبْطِلُهَا، بِتَنْقِيَةِ الْأَعْمَالِ مِنْ شَوَائِبِهَا، فَإِذَا أَتَىٰ الْعَبْدُ بِعَمَلٍ مُصَفًّىٰ؛ قُبِلَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ مَنْ صَفَّىٰ؛ صُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ شَابَ؛ شِيبَ لَهُ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، من حديث: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، إلا أن فيه: «**يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ**...»، والأملح، هو: الأبيض الذي يشوبه سواد.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٤/ ٢٦)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (١٠/ ٣٩٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: «مَنْ أَصْفَىٰ صُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ خَلَطَ خُلِطَ عَلَيْهِ».

وأثر عن مالك بن دينار وأبي سليمان الداراني وذي النون المصري بنحوه.

مَنْ شَابَ؛ شِيبَ لَهُ، وَمَنْ أَتَىٰ بِعَمَلٍ خَالِصٍ؛ قُبِلَ مِنْهُ، وَاللهُ جَلَّوَعَلَا لَمَّا جَعَلَ هَذَا أَمْرًا غَيْبِيًّا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدٌ، وَلَا مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ، يَعِيشُ الْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ، يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ: أَمُحْسِنٌ هُوَ أَمْ مُسِيءٌ؟ وَهَذَا مُهِمٌّ وَمَطْلُوبٌ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُحْسِنٌ؛ زَادَ إِحْسَانُهُ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُسِيءٌ؛ كَفَّ عَنْ إِسَاءَتِهِ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، **فَقَالَ**: «يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ أَنِّي قَدْ أَحْسَنْتُ، وَإِذَا أَسَأْتُ أَنِّي قَدْ أَسَأْتُ؟».

ضَعْ لِي عَلَامَةً فَارِقَةً أَعْرِفُ بِهَا أَنِّي مِنَ الْمُحْسِنِينَ، أَوْ مِنَ الْمُسِيئِينَ، إِذَا أَحْسَنْتُ؛ أَعْرِفُ بِتِلْكَ الْعَلَامَةِ إِحْسَانِي، وَإِذَا أَسَأْتُ؛ أَعْرِفُ بِتِلْكَ الْعَلَامَةِ إِسَاءَتِي.

فَقَالَ: «**إِذَا قَالَ جِيرَانُكَ: قَدْ أَحْسَنْتَ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا قَالُوا: إِنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ**»(١).

فَأَرْجَعَهَا إِلَىٰ مِيزَانٍ ظَاهِرٍ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَدَلَّهُ عَلَىٰ أَمْرٍ لَا يُشْتَبَهُ فِيهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ: «**إِذَا قَالَ جِيرَانُكَ: قَدْ أَحْسَنْتَ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا قَالُوا: إِنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٢)، من حديث: كلثوم بن علقمة الخزاعي رضي الله عنه.
والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (١٣٢٧).

الرَّسُولُ ﷺ ذَكَرَ لَنَا طَرَفًا مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، الْعَبْدُ الصَّالِحُ يَعْمَلُ الْخَيْرَاتِ، وَيَتْرُكُ الْمُنْكَرَاتِ، وَيَمُوتُ، كَيْفَ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ قَبْلَ السِّيَاقِ وَعِنْدَ الِاحْتِضَارِ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ؟ وَكَيْفَ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ حَوْلَهُ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِرَشْحِ الْجَبِينِ**»(١)، فَيَعْرَقُ عِنْدَ مَوْتِهِ.

وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ**»(٢)، «**مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ**»، وَهَذَا شَهِيدُ الْآخِرَةِ، وَلَيْسَ بِشَهِيدِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ لَا تُجْرَىٰ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الشَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ شَهِيدَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا يُغَسَّلُ، وَيُكَفَّنُ فِي ثِيَابِهِ، وَلَا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، هَذَا شَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ.. شَهِيدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٢)، والنسائي (٤/ ٥ - ٦)، وابن ماجه (١٤٥٢)، من حديث: بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، ولفظه:

«**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث صحح إسناده في هامش «**مشكاة المصابيح**»: (١/ ٥٠٥، رقم ١٦١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣)، ومسلم (١٩١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، ولفظه: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وفي رواية لمسلم (١٩١٥): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ غَرِقَ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

وَأَمَّا شَهِيدُ الْآخِرَةِ؛ فَتُجْرَىٰ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الدُّنْيَا، وَلَهُ حُكْمُ الشَّهَادَةِ فِي الْآخِرَةِ.

«**الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ**»: مَنْ مَاتَ بِكَبِدِهِ، مَنْ مَاتَ بِكُلَاهُ، مَنْ مَاتَ بِسَرَطَانٍ فِي أَمْعَائِهِ، مَنْ مَاتَ بِسَرَطَانٍ فِي مَثَانَتِهِ، مَنْ مَاتَ بِعِلَّةٍ فِي بَطْنِهِ قَتَلَتْهُ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ.

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يُحِبُّونَ أَنْ يَشْهَدُوا جَنَازَةَ الْمَبْطُونِ، فَيَقُولُونَ: مَاتَ الْيَوْمَ فُلَانٌ بِبَطْنِهِ؛ فَهَيَّا نَشْهَدْهُ؛ لِلْبِشَارَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ.

«**الْمَسْلُولُ شَهِيدٌ**»: مَنْ قَتَلَهُ السِّلُّ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ(١)، مَنْ أُصِيبَ بِالسِّلِّ.. بِالطَّاعُونِ، أَوْ بِالسُّلِّ الْمَعْرُوفِ، أَوْ بِذَاتِ الْجَنْبِ -وَهُوَ: وَرَمٌ يَكُونُ مُسْتَعْرَضًا

---

(١) يشير إلىٰ حديث رَاشِدِ بْنِ حُبَيْشٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَعْلَمُونَ مَنِ الشَّهِيدُ مِنْ أُمَّتِي؟**» فَقَالَ عُبَادَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ**».

زاد في رواية: «**وَالْحَرْقُ وَالسُّلُّ**».

أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٩)، وابن جرير الطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: (١١/ ٥٩١)، وأبو القاسم البغوي في «**معجم الصحابة**»: (٧٨١)، وأبو نعيم الأصبهاني في «**معرفة الصحابة**»: (٢٨١٥)، وابن الأثير في «**أسد الغابة**»: (٤١٦)، إلا أنه وقع في بعض الروايات: «**السيل**» بدلا من «**السل**».

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (١٣٩٦)، وروي عن سلمان وأبي هارون عَنْتَرَة الشَّيْبَانِيّ رضي الله عنهما، مرفوعا: «...، **وَالسُّلُّ شَهَادَةٌ**،...».

بَيْنَ الْأَضْلَاعِ، وَرَمْ فِي الرِّئَةِ، أَوْ فِي الْغِشَاءِ الْمُحِيطِ بِهَا-، فَمَنْ قَتَلَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ.

الرَّسُولُ ﷺ قَالَ: «**الْغَرِقُ شَهِيدٌ**»: مَنْ مَاتَ غَرِيقًا؛ فَهُوَ شَهِيدٌ؛ شَرِيطَةَ أَلَّا يَكُونَ فِي حَالِ مُبَاشَرَتِهِ لِلْمَاءِ الَّذِي أَغْرَقَهُ مُبَاشِرًا لِمَعْصِيَةٍ؛ كَأَنْ يُرِيدَ أَنْ يَعْبُرَ مَمَرًّا مَائِيًّا لِيَسْرِقَ، أَوْ لِيَزْنِيَ، أَوْ لِيَفْعَلَ الْمُنْكَرَ، أَمَّا إِذَا كَانَ غَرِيقًا حَتْفَ أَنْفِهِ، أَوْ لِأَمْرٍ يَأْتِي بِهِ مَرْضَاةً لِرَبِّهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ.

«**الْحَرِقُ شَهِيدٌ**»: مَنْ مَاتَ بِالنَّارِ مَحْرُوقًا؛ فَهُوَ شَهِيدٌ(١).

«**صَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ**»: مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ حَائِطٌ أَوْ سَقْفٌ فَقَتَلَهُ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ.

«**الْمَرْأَةُ تَمُوتُ فِي نِفَاسِهَا؛ يُؤْتَىٰ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجُرُّهَا وَلِيدُهَا بِسَرَرِهَا** - أَيْ: بِالْحَبْلِ السُّرِّيِّ- **حَتَّىٰ يُدْخِلَهَا الْجَنَّةَ**»، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ(٢).

---

(١) أخرج أبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦ و٣١٩٤)، وابن ماجه (٢٨٠٣)، من حديث: جابر بن عتيك رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟**» قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَىٰ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ**».

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (١٣٩٨).

وقوله: «**والمرأة تموت بجمع**» فهو: أن تموت وفي بطنها ولد.

(٢) تقدم تخريجه، ولفظه: «...، **وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ**».

مَنْ قَبَضَهُ اللهُ عَلَىٰ عَمَلٍ صَالِحٍ.. يَكُونُ آخِذًا بِسُنَّةٍ.. دَاعِيًا إِلَىٰ خَيْرٍ.. نَاهِيًا عَنْ مُنْكَرٍ.. آمِرًا بِمَعْرُوفٍ.. مُتَصَدِّقًا بِصَدَقَةٍ.. قَائِمًا فِي صَلَاةٍ.. طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَيُقْبَضُ؛ فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، أُمُورٌ ذَكَرَهَا الرَّسُولُ، فَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ.

هَذِهِ الْمَسَائِلُ الْغَيْبِيَّةُ تَتَعَلَّقُ بِأَعْمَالِنَا، وَتَتَعَلَّقُ بِمُسْتَقْبَلِنَا الْحَقِّ.. بِآخِرَتِنَا: «كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ أَنِّي قَدْ أَحْسَنْتُ، وَإِذَا أَسَأْتُ أَنِّي قَدْ أَسَأْتُ؟»؛ لِأَنَّ سَرِيرَةَ السُّوءِ تَكُونُ وَرَاءَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، يَبْدُو ظَاهِرًا؛ كَالْقَبْرِ: ظَاهِرٌ يَسُرُّ، وَبَاطِنٌ مِنْ دُونِهِ يَضُرُّ، فِيهِ الْجِيفَةُ، وَفِيهِ الرِّمَّةُ، وَفِيهِ الدُّودُ وَالْعَفَنُ، فَكَذَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُؤَسَّسًا عَلَىٰ سَرِيرَةٍ صَالِحَةٍ.

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ** -وَهِيَ سِلْسِلَةُ جِبَالٍ عَظِيمَةٍ، تَمْتَدُّ امْتِدَادًا طَوِيلًا، وَتَرْسُخُ فِي الْأَرْضِ رُسُوخًا عَظِيمًا، وَهِيَ مُمْتَدَّةٌ فِي الْحِجَازِ- **أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيْضَاءَ** -مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَمِنَ الصِّلَةِ، وَمِنَ الْعَطَاءِ، وَمِنَ الْبِرِّ، وَمَا أَشْبَهَ-، **فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا**».

قَالَ ثَوْبَانُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا -هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَيْضَاءَ كَأَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا-؛ صِفْهُمْ لَنَا؛ أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ».

وَهِيَ حَسَاسِيَّةُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، كَانَتْ آيَاتُ الْوَعِيدِ وَالنُّذُرِ كَأَنَّمَا قَدْ نُزِّلَتْ لِأَجْلِهِمْ وَحْدَهُمْ، فَكَانُوا مُشْفِقِينَ وَجِلِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.

قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»(١).

فَهَذَا عَمَلٌ ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا السُّوءُ وَالْمَعَرَّةُ؛ فَمُدَّخَرَةٌ لِرَبِّ النَّاسِ، «**إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»: إِذَا أَمِنُوا النَّاظِرِينَ مِنَ الْخَلْقِ؛ لَمْ يَأْمَنُوا نَظَرَ الْحَقِّ، وَهَذَا مَخُوفٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَوَتْ خَلْوَتُكَ وَجَلْوَتُكَ؛ فَأَنْتَ التَّقِيُّ الصَّالِحُ، وَإِذَا زَادَ حَالُكَ فِي خَلْوَتِكَ عَلَىٰ جَلْوَتِكَ؛ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ ضَعِيفٌ، وَإِذَا كَانَ حَالُكَ فِي جَلْوَتِكَ أَعْظَمَ مِنْ حَالِكَ فِي خَلْوَتِكَ؛ فَالْأَبْعَدُ مُنَافِقٌ مُرَاءٍ بَغِيضٌ.

أَمَّا إِذَا اسْتَوَتِ الْخَلْوَةُ وَالْجَلْوَةُ؛ فَهُوَ الْإِخْلَاصُ وَالتُّقَىٰ، وَهُوَ الْعَفَافُ وَغِنَىٰ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَأَنَّ اللهَ ﷻ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِنَا وَأَعْمَالِنَا، لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِنَا وَأَجْسَامِنَا، إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ الْحَقَائِقِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْأَضَاحِيَّ وَالْقَرَابِينَ.. تُذْبَحُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ تَقَرُّبًا لَدَيْهِ، وَإِقْبَالًا عَلَيْهِ؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ** ﴾ [الحج: ٣٧]: فَأَمَّا لُحُومُهَا فَلَكُمْ، وَأَمَّا دِمَاؤُهَا فَلَكُمْ، لَنْ يَنَالَ اللهَ -تَعَالَىٰ- شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا تَنْفَعُهُ تَقْوَاكُمْ، وَإِنَّمَا تَنْفَعُكُمْ.

﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ** ﴾، فَيُفَتِّشُ عَنْ أَحْوَالِكُمْ: لِمَ قُلْتَ؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥).

والحديث صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٥٠٥).

لِمَ عَمِلْتَ؟

وَكَيْفَ قُلْتَ؟

وَكَيْفَ عَمِلْتَ؟

لَنْ تَزُولَ قَدَمَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ مَوْلَاكَ حَتَّىٰ تُسْأَلَ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟

لِمَ عَمِلْتَ؟!!

وَلِمَ قُلْتَ؟!!

أَللهِ، أَمْ لِلنَّاسِ؟!!

أَللهِ، أَمْ لِحَظِّ النَّفْسِ؟!!

أَللهِ، أَمْ لِلْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ؟!!

لِمَ قُلْتَ؟!!

وَأَيْضًا لِمَ سَكَتَّ؟!! فَإِنَّ التَّرْكَ عَمَلٌ، كَمَا يَقُولُ الْأُصُولِيُّونَ.

فَفِعْلُكَ للهِ، وَتَرْكُكَ للهِ، وَاعْتِقَادُكَ للهِ، وَقَوْلُكَ للهِ، وَصَمْتُكَ للهِ، وَقِيَامُكَ للهِ، وَقُعُودُكَ للهِ، وَمَشْيُكَ للهِ، وَعَدْوُكَ للهِ، وَنَوْمُكَ للهِ، وَحَرَكَتُكَ للهِ، وَسُكُونُكَ للهِ؛ فَأَنْتَ بِاللهِ، وَمَعَ اللهِ، وَللهِ، وَإِلَىٰ اللهِ؛ وَإِلَّا فَهُوَ الْعَذَابُ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْمُخْلِصِينَ.. مِنَ الْمُتَّقِينَ.. مِنَ الطَّيِّبِينَ، وَلَا يُجَاوِرُهُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الطَّيِّبُ الْمَحْضُ؛ **وَلِذَلِكَ الدُّورُ فِي الْآخِرَةِ ثَلَاثَةٌ:**

* دَارُ الْخَبِيثِ الْمَحْضِ.

* وَدَارُ الطَّيِّبِ الْمَحْضِ.

* وَدَارُ الطَّيِّبِ الَّذِي شَابَتْهُ الشَّوَائِبُ.

فَأَمَّا دَارُ الْخَبِيثِ الْمَحْضِ؛ فَهِيَ نَارُ الْكَافِرِينَ، يُخَلَّدُ فِيهَا الْكَافِرُ أَبَدًا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.

وَأَمَّا دَارُ الطَّيِّبِ الْمَحْضِ؛ فَهِيَ الْجَنَّةُ، دَارُ الطَّيِّبِينَ، يُجَاوِرُ فِيهَا الطَّيِّبُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَأَمَّا دَارُ مَنْ شَابَ، فَشِيبَ لَهُ؛ فَهِيَ نَارُ الْمُوَحِّدِينَ، يُعَذَّبُونَ لِلتَّنْقِيَةِ وَالتَّهْذِيبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَدْخُلَ الْوَاحِدُ الْجَنَّةَ وَلَيْسَ بِطَيِّبٍ مَحْضٍ، طَيِّبٌ فِيهِ شَوَائِبُ.. لَا يَدْخُلُ حَتَّىٰ يَتَطَهَّرَ، حَتَّىٰ يُهَذَّبَ، إِمَّا بِالشَّفَاعَةِ.. شَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَإِمَّا بِرَحْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَرْحَمَهُ؛ عَذَّبَهُ حَتَّىٰ يُطَهِّرَهُ؛ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ طَيِّبًا مَحْضًا؛ لِيُجَاوِرَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ -وَهُوَ الطَّيِّبُ- فِي دَارِ الطَّيِّبِينَ.

فَيُخْلِصُ الْمَرْءُ للهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الْإِخْلَاصِ لِمَوْلَاهُ، وَيَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ، وَيَجْتَهِدُ فِي أَلَّا يُخْرِجَ عَمَلَهُ الصَّالِحَ مِنْ دِيوَانِ السِّرِّ إِلَىٰ دِيوَانِ الْعَلَانِيَةِ.

الْمَرْءُ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ للهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا سِوَاهُ، يَبْتَغِي بِهَا مَرْضَاةَ مَوْلَاهُ، تَكُونُ سِرًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ يَسْتَفِزُّهُ الشَّيْطَانُ بِالْمَنِّ، فَيُخْبِرُ بِهَا سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا، فَتُنْقَلُ مِنْ دِيوَانِ السِّرِّ إِلَىٰ دِيوَانِ الْعَلَانِيَةِ، وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْفَرْقِ مَا بَيْنَهُمَا.

كُنْ حَلِيمًا ذَا أَنَاةٍ!

تَرَيَّثْ!

وَانْظُرْ فِي مُسْتَقْبَلِكَ الْحَقِّ، وَلَا تَتَعَجَّلْ، وَلَا تَكُنْ تَابِعًا لِكُلِّ نَاعِقٍ، وَتَأَمَّلْ فِي آخِرَتِكَ؛ فَهِيَ حَيَاتُكَ الْبَاقِيَةُ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

يَقُولُ الْكَافِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، وَالَّتِي كُنْتَ فِيهَا.. كَانَتْ مَاذَا؟!!

لَمْ تَكُنْ حَيَاةً.

هَذَا وَهْمٌ زَائِلٌ، وَخَيَالٌ حَائِرٌ، وَطَيْفٌ عَابِرٌ!!

مَا الْحَيَاةُ؟!!

إِنَّمَا هِيَ زَعْقَةٌ بِأَلَمِ صُرَاخٍ عِنْدَ الْمِيلَادِ، وَصُرَاخٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَمَاتِ، وَهِيَ بَيْنَ هَذَيْنِ مَرَضٌ وَشَقَاءٌ، وَحُزْنٌ وَبَلَاءٌ، وَعَنَاءٌ وَكِفَاحٌ لَا يَنْفَكَّانِ عَنِ الْمَرْءِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَنَائِمًا.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَوْعِظَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

أَسْبَابُ نُزُولِ الْبَلَاءِ عَلَى الْعَبْدِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

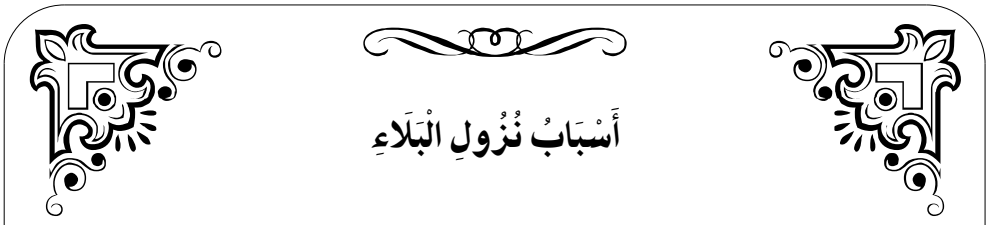

أَسْبَابُ نُزُولِ الْبَلَاءِ

فَإِنَّهُ مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ؛ فَإِنَّ أَعْدَىٰ أَعْدَاءِ النِّعَمِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبَ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ارْتَكَبَ الْمَعْصِيَةَ -وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْحَلِيمُ السِّتِّيرُ-؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُبَادِرُ بِالْعُقُوبَةِ، وَلَكِنْ إِذَا تَمَادَىٰ الْعَبْدُ فِي الْمَعْصِيَةِ؛ فَإِذَا -رَحِمَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَاقَبَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ بَلَاءً فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ حَتَّى لَا يَلْقَىٰ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَهْمَا وَقَعَ مِنْ أَمْرٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ فِي خِفَّتِهِ وَخِفَّةِ وَقْعِهِ لَا يُقَارَنُ بِمَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

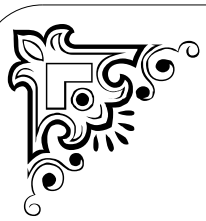

مَاذَا يَفْعَلُ الْمَرْءُ إِذَا ابْتُلِيَ بِمُصِيبَةٍ؟!!

عَلَىٰ الْإِنْسَانِ إِذَا ابْتُلِيَ بِمُصِيبَةٍ أَوْ نَزَلَ بِهِ بَلَاءٌ، أَوْ آتَاهُ مَا يَكْرَهُ أَنْ يُسَارِعَ بِاتِّهَامِ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَطْرَحَ نَفْسَهُ عَلَىٰ عَتَبَاتِ رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَأَنْ يَتَّهِمَ نَفْسَهُ؛ فَيَقُولُ: أَنْتِ السَّبَبُ فِيمَا نَزَلَ بِي وَحَلَّ بِي مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعُقُوبَةِ، وَإِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي جَلَّوَعَلَا، وَإِنْ لَمْ يَكْشِفْ عَنِّي مَا بِي؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ مَهْمَا بَلَغَ أَنْ يَكْشِفَ مَا نَزَلَ.

إِنَّنَا لَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُفَتِّشَ فِي أَنْفُسِنَا، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي طُوِيَّاتِنَا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا انْطَوَىٰ عَلَىٰ دَسِيسَةٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي، وَرُبَّمَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا وَهُوَ مُسِيءٌ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَهُوَ الْحَلِيمُ السِّتِّيرُ.

وَكَمْ مِنْ مِحْنَةٍ فِي طَيِّهَا مِنْحَةٌ، وَكَمْ مِنْ نِقْمَةٍ ظَاهِرَةٍ فِي بَاطِنِهَا نِعْمَةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ الْأَشْيَاءَ، وَيُدَبِّرُ الْأُمُورَ، وَالْعَبْدُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ عَاجِزٌ ذَلِيلٌ لِرَبِّهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

«اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ

أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ غَمِّي وَهَمِّي».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قَالَهُنَّ** -يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، يَعْنِي هَذَا الْحَدِيثَ-، **مَا قَالَهُنَّ عَبْدٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ كَرْبَهُ، وَأَزَالَ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ بِحُزْنِهِ فَرَحًا**».

قَالَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم: أَفَلَا نَتَعَلَّمُهُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»(١).

فَإِذَا نَزَلَ بِكَ مَا لَا يُلَائِمُكَ، وَحَلَّ بِكَ مَا لَا يُوَائِمُكَ، وَجَاءَكَ مَا تَكْرَهُهُ؛ فَافْزَعْ إِلَىٰ اتِّهَامِ نَفْسِكَ: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد: (١/ ٣٩١، ٤٥٢، رقم ٣٧١٢، ٤٣١٨)، والبزار: (٥/ ٣٦٣، رقم ١٩٩٤)، وأبو يعلىٰ: (٩/ ١٩٨، رقم ٥٢٩٧)، وابن حبان: (٣/ ٢٥٣، رقم ٩٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٠/ ١٦٩، رقم ١٠٣٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٩، رقم ١٨٧٧)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه.
والحديث صححه شيخ الإسلام، وابن القيم في «الصواعق» (٣/ ٩١٣) وغيره، والشيخ شاكر في تخريج «المسند» (رقم ٤٣١٨)، والألباني في «الصحيحة» (١٩٩)، ومقبل، وغيرهم، وانظر: «علل الدارقطني» (٥/ رقم ٨١٩).

حَالُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم عِنْدَ وُقُوعِ الْكَسْرَةِ

هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم -وَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ- لَمَّا وَقَعَتِ الْكَسْرَةُ فِي أُحُدٍ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ الرُّمَاةِ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**الْزَمُوا الْجَبَلَ، وَلَا تَنْزِلُوا عَنْهُ وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْعَدُوَّ يَرْكَبُ أَكْتَافَنَا**»(١).

فَلَمَّا جَاءَ النَّصْرُ بَادِئَ ذِي بَدْءٍ، وَأَخَذَ الصَّحَابَةُ فِي السَّاحَةِ يَجْمَعُونَ الْغَنَائِمَ، اعْتَقَدَ الصَّحَابَةُ الرُّمَاةُ عَلَىٰ جَبَلِ أُحُدٍ أَنَّ الْأَمْرَ قَدِ انْقَضَىٰ وَأَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ، فَتَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ إِلَّا مَنْ ثَبَتَ، وَهُوَ يَنْهَاهُمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَظَلُّوا فِي مَوَاقِعِهِمْ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ الْمُخَالَفَةُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبَبًا فِي قَتْلِ سَبْعِينَ مِنْ

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب الجهاد: باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب...، (٣٠٣٩)، من حديث: البراء بن عازب رضي الله عنهما، يحدث قال: جعل النبي ﷺ علىٰ الرجالة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، هذا حتىٰ أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم»،... الحديث.

أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَوَقَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفَرِ الَّتِي أَعَدَّهَا أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ، وَجَعَلَ عَلَىٰ كُلِّ حُفْرَةٍ شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ النَّخِيلِ أَوْ مَا أَشْبَهَ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ الرِّمَالَ، فَمَنْ مَرَّ وَقَعَ، فَوَقَعَ رَسُولُ اللهِ، فَجُحِشَ جَنْبُهُ -أَيْ: جُرِحَ فِي جَنْبِهِ-، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ(١)، وَدَخَلَتْ حَلْقَةٌ مِنْ حَلْقَاتِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ(٢)،

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: كتاب الجهاد: باب المجن...، (٢٩٠٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب الجهاد: بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، (١٧٩٠)، من حديث: سَهْل بْن سَعْدٍ، قَالَ: جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُ الدَّمَ،...الحديث.

(٢) أخرجه الطيالسي: (٦)، والحاكم: (٣/ ٢٦، ٢٧، ٣٦٦)، وأبو نعيم في «**الحلية**»: (٨/ ١٧٤)، وفي «**معرفة الصحابة**»: (٥٦١)، والبيهقي في «**الدلائل**»: (٣/ ٢٦٣)، وابن عساكر في تاريخه: (٢٥/ ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٤٤٨)، وابن الجوزي في «المنتظم»: (٤/ ٢٦١، ٢٦٢)، والضياء المقدسي في «المختارة»: (٤٩)، من طريق: إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عِيسَىٰ بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ:... وَقَدْ كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْنَتَيْهِ حَلَقَتَانِ مِنْ حِلَقِ المغفر،...».

وذكره ابن هشام في «السيرة»: (٢/ ٨٠)، عن رُبَيْح بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَمَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمئِذٍ، فَكَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ الْيُمْنَىٰ السُّفْلَىٰ، وَجَرَحَ شَفَتَهُ السُّفْلَىٰ، وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ ابْن شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ شَجَّهُ فِي جَبْهَتِهِ، وَأَنَّ ابْنَ قَمِئَةَ جَرَحَ وَجْنَتَهُ فَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلَقِ=

فَمَا خَرَجَتْ إِلَّا بِنَزْعِ بَعْضِ أَسْنَانِ مَنْ حَاوَلَ نَزْعَهَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قُتِلَ مُحَمَّدٌ.. قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ!!

وَقُتِلَ سَبْعُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ، وَأَخَذَ الصَّحَابَةُ يَقُولُونَ: أَنَّىٰ هَذَا؟!! كَيْفَ يَقَعُ لَنَا هَذَا وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَنَحْنُ الْمُسْلِمُونَ، وَهُمُ الْكَافِرُونَ وَنَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ؟!!

فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَوْلَهُ: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ**﴾ بِقَتْلِ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا فِي بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ ﴿**قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا**﴾؛ فَنَزَّلَ الْأَسْرَىٰ مَنْزِلَةَ الْمَقْتُولِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿**قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ مَا يَكْرَهُ فَهُوَ السَّبَبُ، هُوَ الَّذِي اسْتَجْلَبَ الْبَلَاءَ، لَا يَلُومَنَّ أَحَدًا، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَلُومَ نَفْسَهُ، وَأَنْ يَنْحَىٰ بِاللَّائِمَةِ عَلَىٰ ذَاتِهِ، وَأَنْ يُحْدِثَ للهِ تَوْبَةً.

وَيَنْبَغِي عَلَيْكَ -عَبْدَ اللهِ- أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا تَوَاتَرَتْ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكَ النِّقَمُ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا لَا يُكْشَفُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَالْفَزَعِ إِلَىٰ الْعَزِيزِ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ، وَإِذَا تَوَالَتْ عَلَيْكَ النِّعَمُ وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ فَاحْذَرْ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ.

=

المغفر فِي وَجْنَتَهُ، وَوَقَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حُفْرَةٍ مِنْ الْحُفَرِ الَّتِي عَمِلَ أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ،...».

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَسْتَعْمَلَنَا وَلَا يَسْتَبْدَلَنَا، وَنَسْأَلَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

أَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرَنَا، وَأَنْ يُصْلِحَ أَمْرَنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ عَاقِبَتَنَا، وَأَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَنَا، وَأَنْ يَهْدِيَ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يُسَدِّدَ أَلْسِنَتَنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا، اللَّهُمَّ أَحْسِنْ خِتَامَنَا يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْمَوْعِظَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:

يَا غَافِلًا عَنِ الْمَوْتِ!

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ مِنَ الْأَقْوَالِ الصَّحِيحَةِ الْحَكِيمَةِ: قَوْلَ الْقَائِلِ: «إِنَّكَ لَنْ تَنْزِلَ نَهْرًا وَاحِدًا مَرَّتَيْنِ»، فَلَا النَّهْرُ النَّهْرَ، وَلَا الزَّمَانُ الزَّمَانَ، وَلَا أَنْتَ أَنْتَ؛ لِأَنَّهُ مَا بِالْمُتَغَيِّرِ يَتَغَيَّرُ، وَنَهْرُ الزَّمَنِ عِنْدَمَا يَمُرُّ؛ يَتَجَدَّدُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ، فَلَا النَّهْرُ سَاعَةَ النُّزُولِ الْأَوَّلِ هُوَ بِعَيْنِهِ سَاعَةَ النُّزُولِ الثَّانِي، وَلَا الزَّمَانُ الزَّمَانَ، وَلَا أَنْتَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ أَنْتَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَإِنَّمَا التَّغَيُّرُ وَالتَّجَدُّدُ سِمَةُ الْحَيَاةِ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعِهَا، وَعَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْفَرْدِ فِي ذَاتِهِ وَشَخْصِهِ.

فَالْإِنْسَانُ يَسِيرُ إِلَىٰ أَمَامَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الْغَايَةِ، وَيَنْتَهِيَ عِنْدَ النِّهَايَةِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْحَيَاةِ مَبْدَءًا وَمُنْتَهًىٰ، وَجَعَلَ لِلْإِنْسَانِ بَدْءًا وَمُنْتَهًىٰ، وَأَعْطَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَآتَىٰ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرًا يَقِفُ عِنْدَهُ، وَحَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ؛ عَلَىٰ اعْتِبَارِ أَنَّهُ النِّهَايَةُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ حَيٍّ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ مُتَوَاصِلَ الْعَبْرَةِ، دَائِمَ الْأَحْزَانِ، وَكَانَ نَظَرُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَكَانَ ﷺ لَا يَدَعُ مُنَاسَبَةً تَمُرُّ يُذْكَرُ فِيهَا الْمَوْتُ أَوْ يَظْهَرُ فِيهَا أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْمَوْتِ إِلَّا أَخَذَ النَّاسَ مِمَّا انْغَمَسُوا فِيهِ فِي دُنْيَاهُمْ، وَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَىٰ هَذَا الشَّاطِئِ الْمَجْهُولِ؛ لِكَيْ يَقِفُوا عَلَيْهِ، وَلِكَيْ يَتَأَمَّلُوا فِي الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الَّذِي يَكُونُ خَلْفَهُ وَمِنْ وَرَائِهِ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الْإِنْسَانَ مُدْرِكًا لِأُمُورٍ بِآلَاتٍ أَعْطَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهَا، لَا يَتَعَدَّىٰ فِي الْإِدْرَاكِ شَيْئًا مِنْهَا، فَالْإِنْسَانُ يَنْظُرُ عِنْدَ الْقَبْرِ إِلَىٰ الْجِدَارِ الْأَصَمِّ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَرَىٰ مَا خَلْفَهُ، وَخَلْفَهُ حُدُودٌ مَحْدُودَةٌ -عَلَىٰ حَسَبِ الْإِدْرَاكِ

الْبَشَرِيِّ-؛ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ الْإِسْنَادِ الصَّحِيحِ الْمَعْنَىٰ: «**إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَيُوَسَّعُ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي قَبْرِهِ حَتَّىٰ يَصِيرَ مَدَّ بَصَرِهِ**»(١).

وَهَذِهِ التَّوْسِعَةُ لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ نَظَرَ إِلَيْهَا بِبَصَرِهِ الْمُجَرَّدِ فِي حَالِ الْحَيَاةِ؛ مَا أَدْرَكَ مِنْهَا شَيْئًا، أَقْوَامٌ بِدَاخِلِهِ يُعَذَّبُونَ وَيُنَعَّمُونَ، وَجَلَبَةٌ وَأَسْئِلَةٌ لِلْمَوْتَىٰ عِنْدَمَا فِي الْقَبْرِ يَنْزِلُونَ، حَيَاةٌ زَاخِرَةٌ مَوَّارَةٌ، فِيهَا مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْجِدَارِ الْأَصَمِّ الْأَصَبِّ الْأَبْكَمِ الَّذِي لَا يُبِينُ، لَوْ سَأَلَهُ؛ مَا أَجَابَهُ، وَلَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ؛ لَارْتَدَّ بَصَرُهُ عَنْهُ وَهُوَ حَسِيرٌ.

الرَّسُولُ ﷺ رَأَىٰ قَوْمًا يَحْفِرُونَ قَبْرًا، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ مُنْسَلِخًا مِنْ إِخْوَانِهِ حَتَّىٰ ذَهَبَ إِلَىٰ الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ لَدَيْهِ، وَأَخَذَ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ الْأَرْضَ ﷺ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ إِخْوَانِهِ، فَقَالَ: «**أَيْ إِخْوَانِي! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**»(٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِهِ لِأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»؛ يَعْنِي: الْمَوْتَ.

---

(١) جزء من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، مرفوعا، أخرجه الترمذي (٢٤٦٠).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وضعفه جدا الألباني في «**الضعيفة**»: (١٠/ ٧٤٩)، وفي «**ضعيف الترغيب والترهيب**»: (١٩٤٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٥)، من حديث: الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَىٰ شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَىٰ، حَتَّىٰ بَلَّ الثَّرَىٰ، ثُمَّ قَالَ:... الحديث.
والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٣٣٨).

وَ(هَاذِمُ) بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ الْمَنْقُوطَةِ الْفَوْقِيَّةِ: قَاطِعُ، «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ** -يَعْنِي: الْمَوْتَ-؛ **فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ**»(١)؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي الضِّيقِ، فَذَكَرَ الْمَوْتَ؛ عَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ مُنْقَضِيَةٌ، وَأَنَّ هَذَا الضِّيقَ حَالٌّ عَارِضٌ، سَرْعَانَ مَا يَزُولُ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ اللهِ.

«**وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ**»؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ السَّعَةَ سَتَنْتَهِي إِلَىٰ الضِّيقِ فِي الْقَبْرِ، وَهُوَ إِمَّا أَنْ يُفَارِقَهَا، وَإِمَّا أَنْ تُفَارِقَهُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا أَخْبَرَ أَنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ؛ كَانَ لَا يُعْجِبُهُ ﷺ أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ فِي مَجْلِسٍ يَضْحَكُونَ وَيَعْبَثُونَ؛ فَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِمَجْلِسٍ وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ؛ فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ**».

فَالرَّسُولُ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَآلَ إِلَىٰ الْمَوْتِ، وَأَنَّ الْمَصِيرَ إِلَىٰ الْقَبْرِ، وَأَنَّ الدُّنْيَا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ، فَلْيَجْعَلْهَا الْمَرْءُ طَاعَةً؛ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ مَغْبُونًا فِي عُمُرِهِ؛ إِذْ يَمُرُّ عَلَيْهِ الْعُمُرُ فِي صِحَّةٍ يُبَدِّدُهَا، وَفِي سَعَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَغِلَّهَا، وَفِي حَالِ هَنَاءٍ وَرَخَاءٍ وَرَغَدٍ يَؤُولُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّفْرِيطِ إِلَىٰ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الْحَزَنِ، وَمِمَّا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُفَرِّطُ فِي قَبْرِهِ فِي بَرْزَخِهِ مِنْ أُمُورٍ لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وابن حبان (٢٩٩٣)، والطبراني في «**المعجم الأوسط**»: (٨٥٦٠)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وكذا حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٣٣٣).

وَالنَّبِيُّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟».

قَالَ: «**أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

قَالَ: «فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟»؛ أَيُّهُمْ أَفْطَنُ؟ وَأَيُّهُمْ أَكْثَرُ عَقْلًا، وَأَوْفَرُ حِلْمًا، وَأَعْظَمُ نُهْيَةً؟

قَالَ: «**أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ**»(١) جَمْعُ: كَيِّسٍ.

وَقَدْ أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ، كَمَا أَمَرَ الْأَصْحَابَ؛ إِذْ أَمَرَ الْأُمَّةَ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ ﷻ حَقَّ الْحَيَاءِ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَسْتَحِي، وَالْحَمْدُ للهِ».

قَالَ: «**لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ؛ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَىٰ، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا وَعَىٰ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ؛ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ ﷻ حَقَّ الْحَيَاءِ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩)، من حديث: ابن عمر رضي الله عنهما.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: (١٣٨٤)، وفي «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٣٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، وأخرجه أيضا الطبراني في «**المعجم الكبير**»: (١٠٢٩٠)، وفي «**الصغير**»: (٤٩٤)، والحاكم في «**المستدرك**»: (٤/ ٣٢٣)، من طرق: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

=

فَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ الْمَوْتُ، وَمَا يَعْقُبُ الْمَوْتَ مِنَ الْبِلَىٰ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مُسْتَحْيِيًا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَالِاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَأَنْ تَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ.

وَأَمَّا مَا يَعْقُبُ الْمَوْتَ مِنَ الْبِلَىٰ؛ فَأَمْرٌ مَعْلُومٌ مُشَاهَدٌ، وَلَا يَبْقَىٰ فِي الذِّهْنِ بَعْدَ حِينٍ مِنَ الْمَوْتَىٰ إِلَّا ذِكْرَيَاتٌ، وَأَمَّا إِذَا مَا دَخَلْتَ الْقُبُورَ الَّتِي نُعَانِيهَا نَحْنُ فِي أَرْضِنَا هَذِهِ، وَلَيْسَتْ فِي حَقِيقَتِهَا عَلَىٰ أَصْلِ الشَّرِيعَةِ، وَلَا عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ دَعَتْ إِلَيْهِ جُغْرَافْيَا الْمَكَانِ، وَتِلْكَ الْحَاجَاتُ الَّتِي تُلْجِئُ النَّاسَ -بِقَدَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- إِلَىٰ أُمُورٍ قَدْ تُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَتُجَانِبُ السُّنَّةَ.

لَوْ دَخَلْتَ الْقَبْرَ بَعْدَ حِينٍ وَكُنْتَ قَدْ وَسَّدْتَ حَبِيبَكَ فِيهِ، وَاسْتَوْدَعْتَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِذَا مَا دَخَلْتَ بَعْدَ حِينٍ؛ فَلَنْ تَرَىٰ إِلَّا عِظَامًا نَخِرَةً، وَلَنْ تَرَىٰ إِلَّا بَقَايَا مِنْ كَفَنٍ قَدِ انْدَثَرَتْ أَجْزَاؤُهُ، وَصَارَتْ إِلَىٰ شَيْءٍ لَا يَتَمَاسَكُ، فَإِذَا مَا مَرَّ زَمَانٌ؛ فَإِنَّكَ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ تَنْحِيَةِ ذَلِكَ إِلَىٰ جَانِبٍ، وَإِذَا مَا مَضَىٰ زَمَانٌ؛ صَارَ كُلُّ ذَلِكَ إِلَىٰ التُّرَابِ، وَإِذَا مَا مَضَتِ الْأَيَّامُ، وَهَجَمَ الْعُمْرَانُ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْحِيلِ الْمَقَابِرِ إِلَىٰ مَكَانٍ جَدِيدٍ؛ فَيَكُونُ مَاذَا؟!!

=

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (١٧٢٤ و ٢٦٣٨ و ٣٣٣٧)، وروي عن عائشة والْحَكَم بْنِ عُمَيْرٍ الثُّمَالِيِّ، مرفوعا، وعن الحسن مرسلا، وعن ابن مسعود موقوفا، بنحوه.

لَا يَبْقَىٰ مِنَ الْإِنْسَانِ بَعْدَ حِينٍ إِلَّا ذِكْرَىٰ حَائِلَةٌ؛ كَالشَّيْءِ الَّذِي يَبْلَىٰ، وَكَالثَّوْبِ الَّذِي يَذْهَبُ وَشْيُهُ، لَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ مِنْ أَثَرٍ مِنْ مَيِّتٍ إِلَّا عِنْدَ مَنْ كَانَ لَهُ مُخَالِطًا، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مُقِيمًا، ثُمَّ مَا يَلْبَثُ أَنْ يَأْتِيَ النِّسْيَانُ، فَيَمْحُو شَيْئًا فَشَيْئًا.

وَإِذَنْ؛ فَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ، وَمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ بَعْدَ حِينٍ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَىٰ شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَىٰ حَتَّىٰ بَلَّ الثَّرَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا إِخْوَانِي! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**».

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ صَلَاحَ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزَّهَادَةِ وَالْيَقِينِ، وَأَنَّ هَلَاكَ آخِرِهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ، إِذَا مَا طَالَ أَمَلُ الْإِنْسَانِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُفَرِّطًا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ مُعْرِضًا؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُفَكِّرَ فِي النِّهَايَةِ.. فِي الْقَبْرِ الْمُظْلِمِ الْمُوحِشِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَجَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْيَقِينِ وَالزُّهْدِ، وَيَهْلِكُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ**»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: «**وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ القُبُورِ**».

---

(١) أخرجه أحمد في «**الزهد**»: (٥٢)، وابن أبي الدنيا في «**قصر الأمل**»: (٢٠)، وفي «**اليقين**»: (٣)، والطبراني في «**المعجم الأوسط**»: (٧٦٥٠)، وابن عدي في «**الكامل**»: (١٤٦٤٠)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٠٠٤٦ و١٠٣٥٠ و١٠٣٥١)، من حديث: عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: (٣٤٢٧)، وفي «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٢١٥).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»(١).

قَالَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا».

وَالْحَقُّ: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ تَأَمَّلَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي وَصِيَّتِهِ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»؛ فَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ فِي غُرْبَةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَبْنِي فِيهَا، وَلَا يَجْعَلُ شَيْئًا لِلْبَقَاءِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُعِدٌّ لِلرَّحِيلِ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ.

وَكَذَلِكَ عَابِرُ السَّبِيلِ الَّذِي يَمُرُّ عَلَىٰ الْبُلْدَانِ، وَالَّذِي يَتَجَاوَزُ الْقُرَىٰ؛ لَيْسَ لَهُ فِي الْمُكْثِ وَلَا فِي الْبَقَاءِ مِنْ مَأْرَبٍ وَلَا غَايَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَاضٍ لِوَجْهِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ مُسْتَقَرُّهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَرْحَلُ إِلَيْهِ، وَالَّذِي يَقْصِدُهُ عِنْدَ سَفَرِهِ.

وَالسَّفَرُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ سَفَرٌ حَقِيقِيٌّ، فَنَحْنُ فِي تَيَّارِ الزَّمَنِ، لَا اللَّحْظَةُ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا بَاقِيَةٌ، وَلَا نَحْنُ بِالَّذِينَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهَا، وَلَا أَنْ نَسْتَبْقِيَهَا، وَإِنَّمَا لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُسَمَّىٰ بِاللَّحْظَةِ الْحَالِيَّةِ؛ لِأَنَّنَا عِنْدَمَا نَفْرُغُ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَىٰ اللَّحْظَةِ الْحَالِيَّةِ تَكُونُ مَاضِيًا، ثُمَّ تَأْتِي لَحْظَةٌ أُخْرَىٰ سَرْعَانَ مَا تُصْبِحُ مَاضِيًا، وَهَكَذَا.. حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ الْمَرْءُ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤).

يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا»، لَا تَدْرِي مَا اسْمُكَ غَدًا!!

وَالْإِنْسَانُ مِنَّا إِذَا مَا مَاتَ؛ سُلِبُ مِنْهُ اسْمُهُ؛ حَتَّىٰ وَهُوَ عَلَىٰ خَشَبَةِ غُسْلِهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُ الْغَاسِلُ لِمَنْ يُعَاوِنُهُ: اقْلِبِ الْجُثَّةَ، وَاعْدِلِ الْجُثَّةَ، وَاصْنَعْ كَذَا بِالْجُثَّةِ... وَقَدْ ذَهَبَ الِاسْمُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُسَمَّىٰ إِلَّا حِينٌ يَصِيرُ مِنْ بَعْدِهِ تُرَابًا، ثُمَّ إِنْ قَدَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَيْئًا كَانَ؛ فَرَيْثَمَا يَعُودُ تُرَابًا تَطَؤُهُ الْأَقْدَامُ، وَرَيْثَمَا بَعْدَ حِينٍ قَلِيلٍ يَعُودُ شَيْئًا غَيْرَ مَذْكُورٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «أَيْ رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي! فَقَالَ النبي ﷺ: «**اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ مِنَ الْمَوْتَىٰ، وَاذْكُرِ اللهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَإِذَا عَمِلْتَ السَّيِّئَةَ فَاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً: السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ**»(١).

فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْكَ سَيِّئَةٌ بِظَاهِرٍ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِحَسَنَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَإِذَا مَا وَقَعَتْ مِنْكَ سَيِّئَةٌ بِسِرٍّ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِحَسَنَةٍ بِسِرٍّ: «**وَإِذَا عَمِلْتَ السَّيِّئَةَ؛ فَاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً: السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ**».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٣/ ٢٢٥)، وأحمد في «**الزهد**»: (١٤١)، وهناد بن السري في «**الزهد**»: (٢/ ٥٣١، رقم١٠٩٢)، والشاشي في «**المسند**»: (١٤٠٠)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٢٠/ ١٥٩ و١٧٥، رقم٣٣١ و٣٧٤)، وأبو نعيم الأصبهاني في «**حلية الأولياء**»: (١/ ٢٤١)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٢/ ٧٨، رقم٥٤٤).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: (١٤٧٥)، وفي «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣١٤٤ و٣٣٤٢).

«**اعْدُدْ نَفْسَكَ مِنَ الْمَوْتَىٰ**»؛ فَأَنْتَ الْمَيِّتُ الْحَيُّ، وَإِنَّمَا نَحْنُ تُرَابٌ نَاطِقٌ لَا يَمْضِي عَلَيْهِ إِلَّا قَلِيلُ زَمَانٍ حَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ الْمَوْتِ، وَإِذَا هُوَ تُرَابٌ صَامِتٌ، وَمَا مِنْ قَائِمٍ عِنْدَ قَبْرٍ يَدْعُو أَوْ يُسَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ تُرَابٌ نَاطِقٌ مُسَلِّمٌ عَلَىٰ تُرَابٍ صَامِتٍ مُسْتَمِعٍ مُجِيبٍ بِأَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: «مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطًا لِي أَنَا وَأُمِّي، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَبْدَ اللهِ؟».

فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! شَيْءٌ أُصْلِحُهُ».

فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ**»(١).

وفي رواية: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**».

فَقُلْنَا: «خُصٌّ لَنَا وَهَىٰ -يَعْنِي: صَارَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ التَّلَفِ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْبِلَىٰ-، فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ».

فَقَالَ: «**مَا أَرَىٰ الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ**».

وَلِذَلِكَ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّ الدُّنْيَا مَمَرٌّ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ بَقَاءٍ؛ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ أَجْرٌ، فَمَا مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ إِلَّا وَتَحَصَّلَ مِنْ وَرَائِهِ عَلَىٰ أَجْرٍ؛ إِلَّا مَا يَكُونُ مِنَ الْبُنْيَانِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ أَجْرٌ لِلْمُؤْمِنِ إِذَا مَا أَخَذَ بِهِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٣٥ و٥٢٣٦)، والترمذي (٢٣٣٥)، وابن ماجه (٤١٦٠).
والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٣٤٣).

فَالشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ فِي التُّرَابِ -كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ-؛ لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَائِهِ مِنْ أَجْرٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، يَعْنِي: رَسَمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ.. عَلَىٰ التُّرَابِ مُرَبَّعًا، وَأَخْرَجَ مِنْ وَسَطِ هَذَا الْمُرَبَّعِ خَطًّا خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا.. خُطُوطًا صِغَارًا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: «**هَذَا الإِنْسَانُ** -يَعْنِي: هَذَا الْمُرَبَّعُ الَّذِي رَسَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ- **هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ** -أَوْ: **قَدْ أَحَاطَ بِهِ**-، **وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ**»(١).

الْأَمَلُ خَارِجٌ عَنِ الْأَجَلِ؛ فَكَيْفَ يَتَحَقَّقُ؟!! كَمَا فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخَذَ ثَلَاثَةَ أَعْوَادٍ، فَغَرَزَ عُودًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْآخَرَ إِلَىٰ جَنْبِهِ، فَأَمَّا الثَّالِثُ؛ فَأَبْعَدَهُ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**».

قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانُ، وَذَاكَ الْأَجَلُ، وَذَلِكَ الْأَمَلُ يَتَعَاطَاهُ ابْنُ آدَمَ، وَيَخْتَلِجُهُ الْأَجَلُ دُونَ ذَلِكَ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٧).

(٢) أخرجه وكيع في «**الزهد**»: (١٨٩)، عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، مرسلا، وأخرجه ابن المبارك في «**الزهد**»: (٢٥٤)، وابن أبي الدنيا في «**قصر الأمل**»: (١٠)، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ، مرسلا أيضا.

=

فَالْإِنْسَانُ لَهُ أَمَلٌ بَعِيدٌ، وَلَهُ أَجَلٌ قَرِيبٌ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَجْعَلُ الْأَجَلَ مُخْتَرِمًا لِلْأَمَلِ؛ فَلَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَمَلِهِ شَيْئًا.

النَّبِيُّ ﷺ خَطَّ مُرَبَّعًا عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَأَخْرَجَ مِنْ هَذَا الْمُرَبَّعِ خَطًّا خَارِجًا مِنَ الْمُرَبَعِ، ثُمَّ جَعَلَ خُطُوطًا صِغَارًا حَوْلَ هَذَا الْخَطِّ الْخَارِجِ مِنَ الْمُرَبَّعِ بِدَاخِلِ الْمُرَبَّعِ-، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ** -الْخَطُّ الْخَارِجِ مِنْ هَذَا الْمُرَبَّعِ- **أَمَلُهُ**»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ تِلْكَ الْخُطُوطِ الصِّغَارِ بِالدَّاخِلِ، وَقَالَ: «**وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**».

يَعْنِي: الْآفَاتُ الَّتِي قَدَّرَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ لَا بُدَّ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَهِيَ بِدَاخِلِ الْمُرَبَّعِ.. بِدَاخِلِ الْأَجَلِ.

=

وأخرجه موصولا: أحمد في «**المسند**»: (٣/ ١٨، رقم١١١٣٢)، وابن أبي الدنيا في «**قصر الأمل**»: (١١)، والرامهرمزي في «**أمثال الحديث**»: (٧٤)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٦/ ٣١١)، والبيهقي في «**الزهد الكبير**»: (٤٥٧)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَرَزَ بَيْنَ يَدَيْهِ غَرْزًا، ثُمَّ غَرَزَ إِلَىٰ جَنْبِهِ آخَرَ، ثُمَّ غَرَزَ الثَّالِثَ فَأَبْعَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، وَهَذَا أَمَلُهُ يَتَعَاطَىٰ الْأَمَلَ وَالْأَجَلُ، يَخْتَلِجُهُ دُونَ ذَلِكَ**».

والحديث حسن إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٣٤٢٨).

وَأَمَّا الْأَمَلُ؛ فَخَارِجَ الْأَجَلِ؛ فَكَيْفَ يَتَحَقَّقُ أَمَلٌ خَارِجٌ عَنِ الْأَجَلِ؟!!

إِنَّ الْأَجَلَ يَخْتَرِمُ الْإِنْسَانَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَمَلَهُ.

وَالرَّسُولُ ﷺ وَضَّحَ لَنَا الْأَمْرَ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا -يَعْنِي: هَمَّ آخِرَتِهِ-؛ كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهِ، وَمَنْ تَوَزَّعَتْهُ هُمُومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا؛ لَمْ يُبَالِ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِأَيِّ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ النَّارِ عَذَّبَهُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ؛ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ؛ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»(١).

«**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ؛ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»، فَأَيْنَمَا الْتَفَتَ لَمْ يَرَ إِلَّا فَقْرًا؛ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْغِنَىٰ، وَمَهْمَا حَصَّلَ مِنَ الدُّنْيَا، «**وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**» بَعْدَمَا شَتَّتَ عَلَيْه شَمْلَهُ، فَلَا يَكَادُ يَجِدُ لِنَفْسِهِ قَصْدًا، وَلَا يَكَادُ يَجِدُ لِنَفْسِهِ مُسْتَقَرًّا، وَإِنَّمَا هُوَ مُوَزَّعُ الْبَالِ، قَلِقُ الضَّمِيرِ، مُشَتَّتُ الِاتِّجَاهِ، لَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ عَلَىٰ قَرَارٍ.

الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ مَعَ ذَلِكَ: «**وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)، من حديث: زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه.

والحديث صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٩٥٠)، وروي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا، بنحوه.

النَّبِيُّ ﷺ أَخَذَ حَصَاتَيْنِ، ثُمَّ رَمَىٰ بِكُلِّ حَصَاةٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا مَثَلُ هَذِهِ وَهَذِهِ؟**».

قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**هَذَا الْأَمَلُ، وَذَاكَ الْأَجَلُ**»(١).

فَالْأَمَلُ يَكُونُ أَبْعَدَ مِنَ الْأَجَلِ، وَإِذَا مَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ شَيْءٍ بَعْدَ الْأَجَلِ؛ فَلَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَىٰ شَيْءٍ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»(٢).

نَعَمْ، الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ؛ لِأَنَّهُ مَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ وَاحِدَةٌ يَضْرِبُ فِيهَا الْمَوْتُ ضَرْبَتَهُ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ كَيْفَ يَقَعُ، وَلَا مَتَىٰ يَقَعُ؛ وَلَكِنَّهُ مَتَىٰ مَا وَقَعَ انْتَقَلَ الْعَبْدُ مِنْ زَاوِيَةِ الدَّارِ إِلَىٰ هَاوِيَةِ النَّارِ، أَوِ انْتَقَلَ الْعَبْدُ مِنْ زَاوِيَةِ الدَّارِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَنِعْمَ الْقَرَارُ، إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ، وَإِنَّمَا هِيَ لَحْظَةٌ وَاحِدَةٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٧٠)، من حديث: بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٣٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٨)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه.

فَالْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، يَعْنِي: مِنْ سَيْرِ النَّعْلِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ.

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ، وَاجْعَلْهُ مُوجَزًا» يَعْنِي: مُخْتَصَرًا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ**» يَعْنِي: لَوْ وَقَفَ الْإِنْسَانُ يُصَلِّي وَفِي ضَمِيرِهِ وَيَقِينِهِ أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ هِيَ صَلَاةٌ مَا بَعْدَهَا مِنْ صَلَاةٍ، وَأَنَّهُ سَيُوَدِّعُ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْحَيَاةَ، وَأَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بَعْدَهَا مِنْ صَلَاةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُقْبِلَ عَلَيْهَا بِجَمِيعِ قَلْبِهِ وَضَمِيرِهِ.

فَقَالَ: «**صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ؛ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَايْئَسْ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَكُنْ غَنِيًّا**»(١).

وَلِذَلِكَ قَالَ السَّابِقُونَ: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تُقَدَّرَ ثَرْوَةُ الْإِنْسَانِ لَا بِمَا يَمْتَلِكُهُ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تُقَدَّرَ ثَرْوَةُ الْإِنْسَانِ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ مُسْتَغْنِيًا عَنْهُ».

فَالشَّيْءُ الَّذِي تَسْتَغْنِي عَنْهُ أَنْتَ مَالِكُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَأَمَّا الشَّيْءُ الَّذِي تَمْلِكُهُ؛ فَهُوَ يَمْلِكُكَ؛ لِأَنَّهُ يُصَرِّفُكَ فِي صَالِحِهِ، وَيُصَرِّفُكَ فِي حِفْظِهِ، وَالْقِيَامِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٧١)، من حديث: أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

والحديث حسنه بشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: (٤٠١)، وروي عن ابن عمر وسعد بن عبادة السعدي مرفوعا بنحوه.

عَلَىٰ أَمْرِهِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ تُقَدَّرَ ثَرْوَةُ الْعَبْدِ لَا بِمَا يَمْلِكُهُ، وَإِنَّمَا بِمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ مُسْتَغْنِيًا عَنْهُ.

وَهَذَا مَا أَخَذَ بِهِ الصَّالِحُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ، فَعِنْدَمَا كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَشْكُو مَا يَجِدُهُ النَّاسُ، أَوْ يُشْكَىٰ إِلَيْهِ -مَثَلًا- عِنْدَمَا يَذْهَبُونَ إِلَىٰ أَحَدِهِمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّحْمَ قَدْ غَلَا، وَإِنَّ الْغَلَاءَ قَدْ وَقَعَ، وَالْأَسْعَارَ قَدِ ارْتَفَعَتْ.. إِنَّ اللَّحْمَ قَدْ غَلَا، فَيَقُولُ: «أَرْخِصُوهُ بِتَرْكِهِ».

إِنَّ اللَّحْمَ قَدْ غَلَا، لَمْ يَغْلُ.. وَلَمْ يَصِلْ فِي الْغَلَاءِ إِلَىٰ الْمَدَىٰ إِلَّا حِينَ تُقْبِلُ النَّفْسُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا إِذَا مَا صَدَفَتِ النَّفْسُ عَنْهُ؛ فَقَدْ صَارَ أَهْوَنَ شَيْءٍ قَطُّ، فَإِذَا مَا اشْتَكَىٰ وَاحِدٌ إِلَيْهِ مِنَ الْغَلَاءِ النَّازِلِ؛ يَقُولُ: «أَرْخِصِ الشَّيْءَ بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَايْئَسْ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَكُنْ غَنِيًّا، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ**».

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: «**اعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَىٰ؛ فَأَنْتَ مَيِّتٌ حَيٌّ -أَوْ: حَيٌّ مَيِّتٌ (إِنْ شِئْتَ)-، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا تُسْتَجَابُ**»(١).

---

(١) أخرجه مسدد بن مسرهد (المطالب العالية: ١٣/ ١٣٠، رقم٣١٣٠)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٣/ ١٢٧، رقم١٠٠٦٠)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٦٨/ ١١٢-١١٣، ترجمة٩٠٨١)، بإسناد صحيح، عن أبي إسحاق، عَنْ رَجُلٍ مِنَ النَّخَعِ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ: أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

=

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ**(١) **مِنَ الدُّنْيَا**»(٢).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(٣).

=

«**اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَىٰ، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا مُسْتَجَابَةٌ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَشْهَدَ الصَّلَاتَيْنِ الْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ وَلَوْ حَبْوًا فَلْيَفْعَلْ**».

والحديث روي موقوفا علىٰ أبي الدرداء رضي الله عنه من قوله، وهو الصحيح.

(١) «بِعَرَضٍ» بفتح العين والراء، أَيْ: بمتاعٍ ذَاهِب وزائل.

(٢) أخرجه مسلم (١١٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) أخرج ابن أبي الدنيا في «**قصر الأمل**» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: (٥/ ٥٨، رقم ١١١)، والحاكم: (٤/ ٣٠٦، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٢/ ٤٧٦ رقم ٩٧٦٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**».

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ٣١١، رقم ٣٣٥٥)، وروي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ مرسلا، بمثله، وانظر: «**شعب الإيمان**»: (١٢/ ٤٧٦ - ٤٧٨).

وَالنَّبِيُّ ﷺ الَّذِي نَفَّرَنَا مِنَ الْعَجَلَةِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ اسْتَثْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ عَمَلَ الْآخِرَةِ، فَقَالَ ﷺ: «**التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ**»(١)، التَّرَيُّثُ وَالِانْتِظَارُ وَالتَّمَهُّلُ فِي كُلِّ عَمَلٍ خَيْرٌ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ؛ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ نُبَادِرَ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**»(٢) يَعْنِي: سَابِقُوا السِّتَّ الْمَذْكُورَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، سَابِقُوهَا حَتَّىٰ لَا تَسْبِقَكُمْ.

فَالتُّؤَدَةُ، وَالرِّفْقُ، وَالْهِينَةُ، وَالدَّعَةُ، وَالتَّمَكُّثُ، وَالتَّرَيُّثُ، وَالِانْتِظَارُ خَيْرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ نُسَابِقَ فِيهَا، وَأَنْ نُسَارِعَ، كَمَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَ«**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟».

قَالَ: «**يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١٠)، من حديث: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (١٧٩٤)، وفي «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٣٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٧)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: «...: **طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**».

وفي رواية ذكر الستة معطوفة بالواو، وقوله: «خَاصَّة أَحَدِكُمْ»، أي: الْمَوْتُ، وَ«أَمْر الْعَامَّةِ»، أي: الْقِيَامَةُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٤٢)، من حديث: أنس رضي الله عنه، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

=

فَاللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَوَفِّقْنَا لِإِتْيَانِ الْخَيْرَاتِ، وَجَنِّبْنَا الزَّلَّاتِ، وَجَنِّبْنَا الْعَثَرَاتِ، وَجَنِّبْنَا الْخَطِيئَاتِ، وَأَحْسِنْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي الْحَيَاةِ.

اللَّهُمَّ أَقِمْنَا عَلَىٰ الْحَقِّ مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاقْبِضْنَا عَلَىٰ الْحَقِّ إِذَا مَا أَمَتَّنَا، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ نَبِيِّنَا ﷺ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

❀❀❀

=

وزاد أحمد (٣/ ١٢٠): «**لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ، حَتَّىٰ تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ**»... فذكر الحديث.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣٣٥٧).

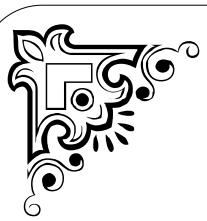

الْفِهْرِسُ

الْمَوْعِظَةُ الْأُولَىٰ: إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ للهِ ٥
الْمَوْعِظَةُ الثَّانِيَةُ: إِخْلَاصُ النِّيَّةِ للهِ ﷻ ١٧
الْمَوْعِظَةُ الثَّالِثَةُ: مَرَاتِبُ الْحَسَدِ وَعِلَاجُهُ ٤٣
الْمَوْعِظَةُ الرَّابِعَةُ: نَصِيحَةٌ ذَهَبِيَّةٌ لِكُلِّ مُبْتَلَىٰ بِالْمَعَاصِي ٥١
الْمَوْعِظَةُ الْخَامِسَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ حُبِّ الْوَطَنِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ ٦٣
الْمَوْعِظَةُ السَّادِسَةُ: قَضِيَّةُ الرِّزْقِ وَقَضِيَّةُ الْأَجَلِ ٧٥
الْمَوْعِظَةُ السَّابِعَةُ: أَعْطُوا الْعِلْمَ بَعْضَ أَوْقَاتِكُمْ! ٨٩
الْمَوْعِظَةُ الثَّامِنَةُ: عِيشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ! ١١١
الْمَوْعِظَةُ التَّاسِعَةُ: الْمُؤْمِنُ لَا يَخُونُ!! ١٢٩
الْمَوْعِظَةُ الْعَاشِرَةُ: سَرِيرَةُ السُّوءِ ١٤٧
الْمَوْعِظَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَسْبَابُ نُزُولِ الْبَلَاءِ عَلَىٰ الْعَبْدِ ١٦٥
الْمَوْعِظَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: يَا غَافِلًا عَنِ الْمَوْتِ! ١٧٥